معانى الرثاء
وبكاء النفس
بين الماضى الحاضر

اعداد

د/ سهام سيف الدين على غنيم

مدرس الأدب والنقد

فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الكبير، القوي القدير، منشئ كل شيء ومبيده، ومبدئ كل حي ومعيده، ومبتدع كل مكان وموجده، ومحدث كل زمان ومنقذه، فلا تحوية الأمكنة والأقطار ولا تبديه الأزمنة والأدوار، ولا تدركه العيون والأبصار، ولا يغيره الليل والنهار، نحمده على ما أولانا من جميل عطائه، ونشكره على ما أتانا من جزيل نعمائه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا بآلهيته واعترافاً بوحدانيته وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله المجتبي المرتضى، اختاره من خير خلقه، وأرسله لإظهار حقه، بعد دروس من الهداية فبين الدليل وأوضح السبيل، ونصح الأمة وكشف الغمة، وقام يظهر الدين، حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أن الحياة والموت والخلود تدور معانيها في قصائد الشعراء الذين بكوا فيها أنفسهم، فالحياة الدنيا، دار فناء، والبقاء الأبدي حيث سعادة الإنسان... الذي ينبغي أن يبني لأجلها، هي في الآخر. والنفس مجبولة دائماً على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة لابد لها من التأديب والتقويم حتى تبتعد قدر الإمكان عن الأضداد المقابلة بما فيها من هوى مطاع وشهوة غالبة، فإن أغفل الإنسان تأديبها تفويضاً إلي العقل أو توكلا على أن تنقاد إلي الأحسن، بالطبع

أعدمه التفويض درك المجتهدين وأعقبه التوكل ندم الخائبين [١].

وقد قال الله تعالى "إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ " [٢].

وقال صلى الله عليه وسلم [أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك، ثم أهلك، ثم عيالك].

---

(١) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، حققه وعلق عليه محمد فتحي أبو بكر – الطبعة الأولى – دار الريان للتراث ١٩٨٨م ص ٢٢٧؟. بتصرف.

(٢) سورة يوسف الآية (٥٣).

النفس والموت في القرآن الكريم:

وقد ذكر القرآن الكريم النفس ولحظات الموت في مواقع عديدة... وقد نبه الإنسان بوقوعه عليه، وحذره من أن يأتيه وهو بعد لم يؤد الأمانة الملقاة على عاتقه..يقول الله تعالى في محكم آياته:"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ" (١).

وقوله " وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً "(٢) وقوله جل شأنه:"يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ" (٣) وقوله "أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ " (٤).

وتكثر الآيات التي تدعو الإنسان إلي التفكير والتدبر في أمور الآخرة والموت الذي هو مصير كل انسان وأن الله سوف يجمعها إلي يوم لا ريب فيه ليحاسب الناس جميعاً.

النفس والموت في الحديث الشريف:

وصف الرسول صلى الله عليه وسلم النفس والموت في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة مشيراً إلي الموت من أهم الوقائع، حيث

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨٥).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٤٥).

(٣) سورة النساء الآية (١).

(٤) سورة الزمر الآية (٥٦).

يكبح غليان الشهوة في الإنسان، ويعيد إليه توازنه... فيقول صلى الله عليه وسلم: [ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ويقطع منابت الغفلة، ويقوي القلب بمواعد الله، ويرق الطبع، ويكسر أعلام الهوى، ويطفئ نار الحرص ويحقر الدنيا].

والمقصود هنا ترك ملذات الدنيا والاتجاه إلي الله والعمل للآخرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: [اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع] وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: [مالي لا أحب الموت؟ فقال له: ألك مال ؟ قال نعم. قال فقدمته ؟ قال: لا. قال: فمن ثم لا تحب الموت].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة] (١) والمقصود انه لا يدخل الجنة إلا المؤمن المسلم لانه من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلا.

وهذه الأحاديث الشريفة تدعو إلي تقويم النفس وتهذيبها والتبصر في أمور الآخرة، وليس معنى ذلك أن تهمل أمور الدنيا بل لابد للإنسان من أن يأمل في حياته ليبني لدار البقاء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [إنما الأمل رحمه من الله لأمتي، ولولاه لما غرس غارس شجراً ولا أرضعت أم ولداً].

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ صـ٤٥٦.

وفي ذلك يقول الشاعر:

وللنفوس وإن كانت على وجل ... من المنية آمال تقويها

فالمرء يبسطها والدهر يقبضها ... والنفس تنشرها والموت يطويها

النفس عند فلاسفة العرب:

عرف ابن سينا النفس بقوله: أنها كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة (١).

ومن أهم ما خلف الشيخ الرئيس ابن سينا قصيدته الفلسفية الطويلة المشهورة في النفس ومطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كرة إليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجع

ألفت وما سكنت فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع

ويقول أحد الفلاسفة أن الروح هي الحساسة الداركة وانها جزء واحد وأنها ليست بنور ولا ظلمة (٢).

العلاقة بين الموت والرثاء:

نقل عن ابن رشيق في كتابه العمدة " أصعب الشعر الرثاء لأنه لا يعمل عن رغبة أو رهبة " (٣).

---

(١) مذاهب فلاسفة المشرق د/ عاطف العراقي ط دار المعارف صـ١٩٥.

(٢) مقالات الإسلامية صـ٣٣١ نقلاً عن نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام صـ٤٩٩ جـ١. الأشعري.

(٣) النقد الأدبي د / أحمد أمين،ط دار النهضة المصرية – الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٣ صـ٢٠/٧٥.

وتقوم بعض أغراض الشعر على المبالغة والتهويل والتفخيم كالمدح والفخر والرثاء. فالمدح الغرض منه استجداء للعطايا والأموال والهبات من الممدوح، أما الفخر فهو لنواقص نفسيه خاصة بالشاعر, ولكن أصدق أنواع المبالغة في هذه الأغراض هو غرض الرثاء، لأن المبالغة فيه لفقد عزيز أو قريب وغير ذلك فهو أصدق سواء كان لهذا أو ذاك.

والرثاء يقترن بالموت، فهو من المواضيع الحساسة التي اهتم بها الأدباء والشعراء على مر العصور، ويعد من أبرز الموضوعات الشعرية في الأدب العربي والعالمي لأنه مرتبط بوجود الإنسان والحياة والموت منذ أقدم العصور التاريخية.

واهتم الشعراء أيضا بتصوير لحظات (الموت) في قصائدهم لما يمثل من واقع حتمي في حياة البشر، وبما أن الحزن هو الحزن، إذن فعاطفة الحزن على ميت المسيطرة على الشاعر تجعله يفتح قلبه ويعبر تعبيراً صريحاً عن عواطف نفسه،وأكثر ما يعبر عن خلجات النفس [١].

ويقول ابن رشيق في العمدة (وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة ملخوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام [٢]).

---

(١) العمدة لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين، ط دار الجيل بيروت ط الرابعة ٢١٩٧٢ جـ٢ صـ١٢٤.

(٢) المصدر السابق جـ٢ صـ١٤٧.

فالرثاء بجانب كونه هو البكاء والحزن، وكونه دمعة صادقة على إنسان عزيز فهو عبارة عن صدى لمكنونات النفس للتعبير عن أشد مواقف الحزن والألم على من رحلوا عن هذه الدنيا إلي الدار الآخرة ويتجسد هذا كله في أبيات شعرية. صادقة، ولذا فمهما تنفثت المراثي وتعمقت أبعادها لا توفيه حقه من الحزن والأسى [١] لأنه ينبع من نزعة انسانية نبيلة، تتفجر داخل الشاعر من مواجهة لحظة الموت ورهبته في موقف لا جدال فيه للتعبير عن الحزن.

وشعر الرثاء من أحسن ما قالت العرب وأصدقه في أغراضها الشعرية المتنوعة، وما جاء عن الأصمعي يؤكد ذلك عندما قال لأعرابي: ما بال المراثي أشرف أشعاركم ؟ فأجاب:

لأننا نقولها وقلوبنا محترقة [٢] . وكما قال بن الرومي:

لم يخلق الدمع لا مرئ عبثا الله أدرى بلوعة الحزن

وموضوع الموت والرثاء شغل الإنسانية وأشجاها منذ القديم وسيظل كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فكم أسأل دموع المكروبين على ما يلقون من عنت الأيام ومصائب الدهر، وكم أبكى الخنساء على اخيها صخر، وأسمعنا نشيج المنفلوطي في عبراته والرافعي في مساكينه وفيكتور هيمجو في بؤسائه وغيرهم وغيرهم من الملايين الذين عانوا قسوة فراق الأحبة بالممات الذي يدركهم

---

(١) الشعر في عصر المأمون،د/علي محمد طلبه،ط الأمانة القاهرة١٩٨٥ص ١٨

(٢) العمدة لابن رشيق.

في ذويهم ثم في أنفسهم. وصدق قول الشاعر:

تنفك تسمع ما حييت بسها ئك حتـــــى تكونـــــه

والمـــرء يرجـــو الحيـــا ة مؤمـــلا.. والمـــوت دونـــه

وقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَـوْتِ ثُـمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ " (١) وهكذا يدرك الإنسان منذ كان، معنى وجوده في الحياة إلي حين، وطبيعة الرسالة التي يتعين عليه أن يؤديها قبل رحيله، بمقتضى قوله تعالى: " مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا " (٢) وقوله عز من قائل: " فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ " (٣).

والإنسان إذا تقدم به العمر إلي مرحلة الشيخوخة، تصبح لديه نظرة جيدة في خواتيم حياته، وخاصة إذا تعرض لداء عضال، أو لحادثة أليمة، تصيبه في نفسه، أو في أحد من أحبائه.

فإن الإنسان يهتز بذلك اهتزازاً شديداً – يدفعه إلي الصراخ والعويل – أما إذا كان أديبا يملك التعبير عن ذات نفسه بموهبة واقتدار فإنه يترجم آلامه في روائع الشعر والنثر التي تبقى على الدهر وأدبنا العربي خير مثال لذلك.

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٥٧).

(٢) سورة فصلت الآية (٤٦).

(٣) سورة الزلزلة الآية (٧، ٨).

فالموت هو فاجعة الفواجع، وهو الحدث المنتظر على الإنسان والواقع الهازم له مع كل ما أوتي من مهارة وقوة وجاه فلكل داء دواء إلا الموت فهو كما قال الشاعر:

الموت بين جميع الخلق لا سوقه يبقى ولا ملك

والدمع هو الوسيلة المعبرة عن الحزن والجزع من مصيبة الموت فالنبي صلى الله عليه وسلم بكى على ابنه إبراهيم وسئل عن ذلك فقال:[تدمع العينان ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب] (١).

ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أحد قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن ذرفت عيناه وبكى، [لكن حمزة لابواكي له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن خضير أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين فقال ارجعن يرحمكن الله،فقد آسيتين بأنفسكن(٢)]

ومر النبي صلى الله عليه وسلم بنسوة من الأنصار يبكين ميتاً

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي بتحقيق محمد سعيد العريان ط دار الفكر جـ٣ ص ١٦٨.

(٢) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام الفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي , تعليق د/ طه عبد الرؤوف سعد ط / دار الفكر العربي ١٩٨٣م المجلد الثاني جـ٣ صـ١٧٢.

فزجرهن عمر فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: [دعهن يا عمر، فإن النفس مصابة، والعين دامعة، والعهد قريب [١]].

فكذلك أيضاً بكى الشعراء أنفسهم وأرواحهم بالدموع الغزار وتسيل كلماتهم شعراً حزيناً.

والشاعر العربي كما بكى نفسه، بكى أقاربه، وأصحابه بعبارات بث فيها لواعج نفسه وقلبه وترنح بها في عبارات مؤثرة كترنح الذبيح وهو ما يسمى رثاء الأشخاص [٢] وقد زخر ديوان الشعر العربي بكثير من الأشعار الراثية الحزينة الجياشة ذات الألفاظ الرقيقة التي تتدفق في أسلوب ملئ بالحزن.

وعقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم دهش الناس وطاشت عقولهم، وأفحموا، ورثاه شعراء كثيرون تمتلئ أشعارهم بنبع من احساس بالحزن الشديد على فراق الحبيب صلى الله عليه وسلم فجاء بعاطفة عامة شاملة لجميع الأمة الإسلامية، لأن فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ومناقبه لم تخص أحد بعينه ولكنها كانت شاملة لجميع أفراد المجتمع الإسلامي لتربيتهم على الفضيلة والرحمة وإغاثة الملهوف والمحتاجين.

وسجل ابن هشام في سيرته قصائد حسان بن ثابت وشعره الذي

---

(١) العقد الفريد جت٣ صـ١٦٨.

(٢) دراسات في تاريخ الأدب العربي في ازهى عصوره للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي و د/ عبد الرحمن عثمان صـ٤٥.

رثى به الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن قصيدة قال فيها حسان يبكي الرسول صلى الله عليه وسلم [١]:

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسول وتهمد

ولا تمنحي الآيات من دار ... بها منبر الهادي الذي كان

وواضح آثار وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد

بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد

معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآي منها تجدد

عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبراً بها واراه في التراب ملحد

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تسعد

يذكرن آلاء الرسول وما أرى ... لها محصياً نفسي فنفسي تبلد

مفجعة قد سفها فقد احمد ... فظلت لآلاء الرسول تعدد

وما بلغت من كل أمر عشيرة ... ولكن لنفسي بعدما قد توجد

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك لحد منك ضم طيبا ... عليه بناء من صفيح منضد

تهيل عليه الترب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك اسعد

لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة ... عشية علوه الشدي لا يوسد

---

(١) الروض الأنف صـ٢٧٤/٢٧٥.

ومما لا شك فيه انه لا يوجد أحد من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم عندما علم بموته إلا وقد حزن حزناً عميقاً، وكادت روحه أن ترهق وفي ذلك يقول حسان:

وراحوا بحزن ليس فيهم بنبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يبكون من تبكي السماوات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

وهل عدلت يوما رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد

وهذه المرتبة تشهد بعمق المعاناة والمكابدة وشدة الحزن، وقوة الانفعال بصدمة الفجيعة وقد عبر فيها الشاعر عن لوعته وحزنه لفراق الحبيب صلى الله عليه وسلم.

وجاء في المجلد الثاني من مروج الذهب عن علاقة الشعر بالموت والحياة... أن جماعة من الأتراك وغيرهم هاجموا دار أبي الحسن على بن محمد، في جوف الليل ليوقعوا به، فوجدوه في بيت وحده فعلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، وليس في البيت شيء من الأثاث والفرش، وعلى رأسه ملحفة من الصوف، وهو يترنم بآيات من القرآن الكريم في الوعد والوعيد، فأخذوه إلي المتوكل على الحالة التي وجدوه عليها، فمثل بين يديه، والمتوكل على مائدة، فملا رآه أعظمه، وأجلسه إلي جنبه، ثم قال له: أنشدني شعراً استحسنه، فاعتذر أبو الحسن. وقال: غين لقليل الرواية للشعر، فالح عليه ولم يقبل له عذراً، فأنشده [1]:

---

(١) مروج الذهب تحقيق / محمد محي الدين، طبعة دار الفكر جـ٣ ص ٣٩٥.

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... فأودعوا حفر يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ ممن بعدما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار

فأفصح القبر عنهم حين ... تلك الوجوه عليها الدود ينتقل

قد طالما أكلوا دهراً وما شبعوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا

وطالما كنزوا الأموال وادخروا ... فخلفوها على الأعداء وارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطلة ... وأسكنوها إلي الأجداث قد رحلوا

واستمر أبو الحسن ينشده شعراً من هذا النوع الذي لم يكن يتوقعه، والمتوكل يبكي بكاءً عالياً حتى بلت دموعه لحيته.وبكى الحاضرون لبكائه والحياة على اختلاف أدوارها، حافلة بالمآسي الفردية منها والجماعية على أن الكثرة المطلقة من شعر المآسي، جاءت في فقد الأنسباء والرفاق. وللشعر تجاه المآسي مواقف مختلفة، فحيث الفقيد قريب لصيق، بكى الشاعر وتفجع، وسالت نفسه أسى، وحيث هو عظيم هوى، عتب على الدهر، ورمى الأيام بالغدر والخيانة واستهان بتصرفات الزمان، وأيضا هناك علاقة بين الموت وتفريق الأحبة، ولا شبهة في أن اقرب الرثاء إلي الفطرة هو ذاك الذي يحز في النفس حتى لا يترك إلي التعزية سبيلاً، ويغمرها بالأسى وهذا

ما نراه جلياً في شعر أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضي الله عنه في رثاءه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – مخاطباً الموت:

أراك مضراً بالذين أحبهم كأنك تنحو نحوهم بدليل

وحرى أن يكون الموت خير واعظ للإنسان، أما الذي لا يجدي معه الموت نفعاً، فلا واعظ له في حياته هذا ما وقع في شعر الحكماء من الشعراء، فقال منصور الفقيه يصف هذا المعنى فيقول:

إذا لم يكن لك في المحكمات وفي الموت ناه عن المنكرات

فلا تغدون إلي واعظ فلست.. بمنتفع.. بالعظات

وفي جانب آخر يقول المتنبي موضحاً موقفه من مشكلة الموت حينما يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد:

أبينا نحن أهل منازل أبداً غراب البين فيها ينعق

نبكي على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيا لم يتفرقوا

أين الأكاسرة الجبابرة الألى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا

من كل من ضاق الفضاء حتى ثوى فحواه لحد ضيق

خرس إذا تواروا كأن لم يطموا أن الكلام لهم حلال مطلق

فالموت آت والنفوس نفائس والمستقر بما لديه الأحمق

ففي الأبيات السابقة يشير الشاعر إلي الأحداث الراصدة لحياة الإنسان، وكأنه ينتزع المناسبات، ويتصيد الأسباب التي تدعو العظة

في معرض المدح لا في معرض الرثاء [١].

رثاء الشعراء لخيرهم بين القديم والحديث:

تطل نافذة الرثاء على الشعر العربي القديم من أوسع عوالمه الزاخرة، وحلق فيه الشعراء بخيالهم فجعلوا المآسي مصدر إبداع وتحبير. ففي العصر الجاهلي نجد مرثية الشاعرة (جليلة بنت مرة) لزوجها (كليب)، بعد أن قام شقيقها (جساس) بقتل هذا الزوج، بعد أن قام الأخير بقتل ناقة لخاله جساس، وهذه الخالة تسمى البسوس، وقد نتج عن قتلها حرب طاحنة من أجل الثار استمرت عدة أعوام وحينما أقيم مأتم عزاء كليب، طردت زوجته جليلة بنت مرة من المأتم، بمعرفة أخت كليب التي قالت لها (اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا، وشقيقة قاتلنا) فلملمت جليلة من آلامها، وارتحلت وهي مكتوية بحزنها ولوعتها، ثم قالت لأخت زوجها بعد طردها من المأتم [٢] :-

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم.. حتى تسألي

فإذا أنت تبينت الذي ... يوجب اللوم. فلومي واعذلي

إن تكن أخت امرئ - ليمت على ... جزع منها، عليه فافعلي

---

(١) مجلة الشعر العدد الثالث - ١٩٦٣ صـ٨١.

(٢) الآمالي لأبو علي القالي جـ٤ صـ١٠٦.

والعصر الجاهلي د/ يوسف خليف ط در المعارف صـ٨٧.

جل عندي فعل جساس... فيـا حسرتي عما انجلي أو ينجلـي

فعل جساس – على وجدي بـه قاطع ظـهري، ومـدن أجلـي

تحمل العين قذى العيـن، كمـا تحمل الأم أذى مـا تغتلـي [١]

أيتم المجـد كليـب.. وحـده واستوى العالي معـاً بالأسـفل

من لحكم الناس فـي حيرتـهم وقرى الأضيـاف يـوم البـدل

ورمـاني قتلـه مـن كثـب رميه المصمى بـه المستأصل

خصنـى قتـل كليـب، بلظـى من ورائـي ولظـى مستقبل

ليس من يبكي ليوميـن كمـن إنمـا يبكـي ليـوم.. ينجلـي

يشتفي المدرك بالثـأر وفـي دركـي الغايـة: ثكـل المثكـل

ليت كـان دمـي... فـاحتلبوا بدلا منه دماً مـن أكحلـى [٢]

إننـي قاتلـه.. مقتولـة ولعـل الله أن يرتـاح لـي [٣]

وهي في هذه القصيدة أوردت معان مثيرة آسية حقاً، فجليلة زوجة القتيل، وأخت القاتل، في حيرة من أمرها، تدعو المحزونين من أهل القتيل – وهي ليست أقل منهم حزناً أن يتبينوا دقة موقفها، وشدة حزنها مثلهم وأكثر، فهو – أي القتيل – زوجـها أولاً وقبـل كـل شيء.. فلا يصح أن يلام المحزون على حزنه الشديد لفقد كل مـن

---

(١) تغتلي: تربي.

(٢) اكحلى: عرق في الساعد يسميه العرب نهر البدن.

(٣) يرتاح لي يختارني لجواره رحمه بي.

الزوج والشقيق، إذ أن الشقيق سوف يتعرض للقتل بدوره، أخذاً للثأر منه، لما جنته يداه ثم تأسف أسفاً شديداً لما صنعه أخوها من طيش عندما عمد إلي قتل زوجها، لأمر لا يستوجب القتل بل إن شقيقها في الوقت نفسه – قد طعنها في الصميم، وعجل بأجلها هي نفسها، حزناً على زوجها، وان مثلها في ذلك – وكان ترعى شقيقها الأصغر جساس – كمثل العين التي تحمل قذى العين، كما تحتمل الأم أذى من ترعاه وتربيه في المهد صبياً.. كما أن جليلة تنعي زوجها الذي كان من علية القوم، بل في الصدارة منهم.. فالمجد قد هوى في شخصه، بمقتله... واستوى في الرغام بمن هم دونه مجداً وسؤدداً.. إذ انه كان سيد قومه وحاكمهم (١).

وتتساءل هل يوجد من يحكم الناس بمثل حزمه وعدالته بعد أن تولى عنهم ؟ كما أنه كان من أكرم الناس لضيوفه في قراه لهم.. وأبدت هول مصابها، لأن كليب أصابها – بمقتله – بمثل اللظى في حياتها من بعده، ومستقبل أيامها من دونه، وأبانت أن من يبكي ليومين ثم يسلو – كما هي طبيعة البشر – ليس كمن يبكيه أبد الدهر، وكما هو الشأن معها، كما أظهرت أن من يشتفي فؤاده بالثأر لمقتل زوجها، يختلف عنها هي، التي يعد هذا الثأر مبعث أنيس لها، وطعنة نجلاء لفؤادها، لان القاتل الذي يراد أخذ الثأر منه هو – أولاً وأخيراً – شقيقها...وودت لو أن الثأر المنشود، لو

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جـ٩ القصة كاملة.

حدث بجعل الدم ينساب من جسدها هي شخصياً غزيـــراً متدفقـــاً، لكان ذلك أرحم بالنسبة لها:

ثم تنهي قصيدتها، ببيتها الخالد، الذي يوجز المأساة كلها، والـــذي تقول فيه عن شأنها في هذه الكارثة، هو شان القاتل المقتول فـــي وقت معاً، فهي زوجة المقتول، وأخت القاتل – وهذا موقف عســير قلما يحدث أو يمر به امرؤ ما من قبل، أو من بعد ولذا فإنها تســأل الله أن يختاراها إلي جواره رحمة بها ولشدة ما تعــاني فــي هــذا الموقف العسير العصيب، والقصيدة تعد نموذج لعمــل فنــي رائــع لرثاء الزوجة لزوجها.

ولا يفوتنا ونحن في هذا المجال – الرثاء – أن نتذكر رثاء الأخــوة، وموضوع الأخوة في الشعر القديم يختلف عن موضوعـــه اليــوم، حيث أغنت طبيعة التطور عن المعونة والنصـــر، حيــث أن شـــأن الاخوة في الحياة أن تكون صداقة وزمالـــة، ومشــاركة وجدانيــة وتجاوباً عاطفياً، وإلفاً متبادلاً، فكيف بها في مجتمـــع لا يقــوم إلا بالمعاونة والمساندة والنصرة، فالأخ يرى في أخيه نصرته وصنــوه كقول كعب بن سعد الغنوى في رثاء أخيه:

أخي كان يكفيني وكان يعينـــي على نائبات الدهر حين تنـــوب
فلو كانت الموتى تباع اشـتريته بما لم تكن عنه النفوس تطيـب!

وإذا تتبعنا مراثي الشعراء لاخوانهم مع مـــرور الزمــن فنجدهــا تطورت مع ما وفرت طبيعة الحياة من الأمن مثــلا ومــن وســائل

اليسر ويلفتنا في رثاء الاخوة بكاء الخنساء على أخيها صخر في أشعار كثيرة ومنها القصيدة التي استهلتها بقولها [١]

قذي بعينك أم بالعين عوار ... أم ذرفت أن خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذكراه إذا حضرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار

وتقول في آخرى:

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... واذكره لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي

واشهر من بكت واستبكت في الجاهلية الخنساء [٢]، إذ قتل أخوها معاوية في بعض غاراته، فعقدت عليه مأتما ضخماً من النواح وأثار ذلك أخاها صخرا فثأر له، وجرح جرحاً أدى إلي وفاته فاشتعل صدرها بالحزن الذي لا يهدأ [٣] فبكته بكاءاً حاراً ولحقت بالإسلام ومع ذلك ظلت ذكرى صخر عالقة بنفسها فتقول:

فالعين تبكي على صخر وحق لها ... ودونه من جديد الأرض أستار

تبكي خناس وما تنفك ما عمرت ... لها عليه رنين وهي مقتار

---

(١) ديوان الخنساء – شرح وتحقيق / عبد السلام الحوفي الطبعة الأولى – دار لكتب العلمية بيورت ١٩٨٥ ص ٦٢.

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق محمود محمد شاكر ط عيسى الحلبي صـ ٤٧٠.

(٣) الرثاء د/ شوقي ضيف صـ ١٤، ١٥.

تبكي خناس على صخر وحـق إذ رابها الدهر إن الدهر ضـرار

وهناك شاعراً آخر هو عدي بن زيد، يقول في رثـاء بنـي الدنيـا أجمعين (١):

إن أهل الديار من قـوم نـوح ثم عاد – من بعده – وثمـود:

بينما هم على الأسرة والأنمـا ط، أفضت إلي التراب الخـدود

وأطبـاء، بعدهـم، لحقوهـم ضل عنهم صديقـهم واللـدود

وصحيح... اضحى يعود مريضـا وهو أدنى للموت ممـن يعـود

والشاعر في الأبيات السابقة يرثي أهل الدنيا وأحيائها جميعا وهـو نوع فريد من الرثاء في العصر الجاهلي حيث عهدنا النواح والبكاء دائما إنما يكون على الأهل والأقارب.

وهذا أبو العلاء المعري يقول في داليتـه المشـهورة فـي رثـاء صديقه الفقيه الحنفي:

صاح هذى قبورنا تملأ الرحـ ب، فأين القبور من عهد عـاد

خفف الوطء، ما أظن أديم الـ أرض إلا... من هذه الأجسـاد

وقبيح بنا – وإن قـدم العـهد د: هـوان الآبـاء والأجـداد

إلي أن يقول (١):

---

(١) موسوعة الشعر الجاهلي – شرح مطاوع صفدي وأيليا صاوي ط بـيروت ١٩٧٤م. صـ٤٣٩ – ٤٤٠.

سر عن استطعت في الهواء رويـــدا لا اختيالا علـــى رفـــات العبـــاد

رب لحد قد صار لحدا مـــــرارا ضاحك مـــن تزاحـــم الأضـــداد

ودفيـــن علـــى بقايـــا دفيـــن في طويـــل الأزمـــان والآبـــاد

تعب كلها الحياة، فمـــا أعـــ جب إلا من راغب فـــي ازديـــاد

وقد عبر الشاعر في مرثيته بعمق وقوة الانفعال عن ما يدور فـــي وجدانه بعبارات وألفاظ تشهد له بالبراعة التصويرية.

وبعدما تتبعا نماذج من مراثي القدامى تنتقل إلي العصر الحديث في الأدب العربي، بحثا عن لغز الموت الذي يأتي على الأحياء جميعـــا، نجد مصطفى صادق الرافعي [١] يقول لنا – نثرا – ليس بينه وبين الشعر حجاب–(واها لك أيها القبر لم ينزل البشر فيك من قبل أمـــيرا جلده من ديباج، ولا بطلا عضلاته من حديد ولا فقيرا علقـــت فـــي احشائه مخلاة... وظهر لي القبر كأنه فما الأرض يخاطب الإنســـان بحزم صارم، يخاطب الفقير والغني والضعيف والقـــوي والملـــوك والصعاليك وينادي الأحياء جميعا "إن كل قوة تنتزع هنا").

ويصدق الرافعي في قوله، فالموت هو غاية الأحياء، طال البقـــاء أم

---

(١) ديوان أبي العلاء المصري سقط الزند تصحيح إبراهيم الزين ط دار الفكـــر بيروت سنة١٩٦٥م.

(١) من وحي القلم تأليف مصطفى صادق الرافعـــي ط دار المعـــارف الطبعـــة الثانية ١٩٨٦م جـــ١ ص ١٤١.

قصر، ولنا أن نتذكر قول الشاعر كعب بن زهير [١]:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

وهناك نص للشاعر الدكتور / حسن جاد حسن رحمه الله، في رثاء ابنه الوحيد، يستحوذ على مشاعرنا وتعاطفنا، حين يقول:

لم يبق منك سوى رسم نلوذ به لوعة القلب، أو من حرقة الكبد

وأي جدوى لرسم لا حياة بـه يحكيك... لكن... بلا روح ولا جسد

لم تشف صورتك الخرساء لوعتنا هل السراب شفي يوما: غليل صدر؟

وقوله في قصيدة أخرى في الغرض نفسه:

على دمعي أنام أسى وأصحو وفي قلبي، من التذكار، جرح

وقوله في قصيدة ثالثة [٢]:

قالوا سينسيك الزمان، وكلما مضت الليالي... زادت الآلام

ومما لا شك فيه أن هذه الصرخات التي كتبها الشاعر حسن جاد على ابنه الوحيد (محمد) نابعة من أعماق الأب الحزين فقلبه ينزف دما من شدة حزنه على ابنه ويلتاع لفقده التياعا شديدا.

وهناك الموت أو الاستشهاد في سبيل الأوطان، ويحدثنا عن فلسطين الشاعر "إبراهيم طوقان" الشقيق الأكبر للشاعرة فدوى

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهير للسكري ط دار الكتب القاهرة ١٩٥٠.

(٢) ديوان الشاعر حسن جاد حسن (مخطوط).

طوقان يقول عن (الفدائي)مشيدا بأمجاده في سبيل وطنه فيقول[١]:

هـــو بالبـــاب واقـــف والـــردى منـــه خـــائف

فـــاهدئي يـــا عواصـــف خجـــلا مـــن جراءتـــه

صـــامت لـــو تكلمـــا لفـــظ النـــار والدمـــا

قـــل لمـــن عـــاب صمتـــه خلـــق الحـــزم أبكمـــا

إلي أن يقول:

لا تلومـــوه، قـــد رأي منـــهج الحـــق مظلمـــا

وبـــلادا.... احبـــها ركنـــها قـــد تـــهدما

وحينما يظفر بعض الفدائيين بالشهادة، يقول عن كل واحد منهم:

ربمـــا غالـــه الـــردى وهـــو بالســـجن مرتـــهن

لـــم يشـــيع بدمعـــة مـــن حبيـــب ولا ســـكن

ربمـــا أدرج الـــترا ب سـليما.... مـن الكفـــن

إلي أن يقول بالتياع مذيب:

لا تقـــل أيـــن جســـمه ؟ واســـمه.... فـــي فـــم الزمـــن

انـــه كوكـــب الـــهدى لاح فـــي غيـــهب المحـــن

وهناك نوع من رثاء الشعراء لغيرهم وهو رثاء الزوجـــة والأمـــر المذهل والمؤلم حقا، هو رثاء الشاعر عبد الرحمن صدقي لزوجته،

---

(١) شعراء ودواوين للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ط الهيئة المصريـــة العامـــة للكتاب ط أولى ١٩٩٠ صـــ٩ ومجلة الدوحة العدد.

بديوان كامل، يحمل عنوان (من وحي المرأة) متابعا الشاعر عزيز أباظة، الذي رثى زوجته، أيضا، بديوان يحمل عنوان (أنات حائرة).

ويستوقفنا من ديوان الشعر عبد الرحمن صدقي، قوله بقصيدة التي تحمل عنوان (بعد أيام) [١]:

أقول لدهري: فيم... فيم حرمتني؟ وكل عزائي كان فيها ونائلي

وتكرار كلمة (فيم فيم) في الشطر الأول يدل على مدى لوعته وحيرته، وهو يتلفت حوله، ولا يجد أثرا لها، بعد أن ضرب الدهر بينهما من ضرباته، وأسدل ستار كثيفا بينهما، وكأنه يقول: فيم....فيم.... متلعثما مضطربا، وهي لم تكن شريكة حياته فقط ؛ بل وشريكه عقله.

وممن بكي زوجته في العصر الحديث بكاءا حارا محمود سامي البارودي ففي مرثية طويل يقول [٢]:

يا دهر فيم فجعتني بحليلة كانت خلاصة عدتي وعتادي

ويطول بنا الحديث عن القصائد التي رثى بها الشعراء والشواعر غيرهم من الأهل والأقارب والأصدقاء مما لا يتسع له مجال في هذا

---

(١) ديوان من وحي المرأة للشاعر / عبد الرحمن صدقي.

(٢) الرثاء مجموعة فنون الأدب العربي بقلم د/شوقي ضيف الطبعة،الرابعة دار المعارف صـ٢٩.

البحث، وفي النماذج إلي قدمناها، ما يخجل التحليـــل والتشـــريح، لأنها – لصدقها – صدرت عن قلوب لهيفة، ومشاعر فياضة، تـــأخذ بألبابنا وتجعلنا معها، بعمق تأثيرها، وتغلغلها إلي الأعماق.

المنهج التاريخي للرائي نحو المرثى:

(١)..هناك علاقة تاريخية بين الشاعر وبين الشخصية التي يرثيها، فإن الشعراء القدامي كانوا يحزنون ويبكون بلوعة ويعبرون عنها تعبيرا قويا خاصة إذا كان المرثى ذا صلة قوية بالراثي.

فمثلا الخنساء رثت اخويها معاوية وصخر وزوجها، ولكن ورثائها لأخيها صخر دون بقية اخواتها أو أبوها وابنائها، يمتلئ باللوعة المشتعلة في قلبها، وندبته ندبا حارا حتى بعد اسلامها.وهذا يرجع الي علاقة تاريخية بينها وبين صخر، وهي أن صخر كان بمثابة العائل الوحي لها في حياتها:

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم على رأسه نار

إذ أن زوجها كان لا يهتم بمسئولياته وينصرف الي مجالس اللهو والخمر، أما معاوية فلم يقم معها بالدور الذي قام به صخر ولذا فهي حولت حياتها الي مآتم متكررة تبكي فيها صخرا.

(٢).. وإذا تعمقنا في عصر صدر الإسلام وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم (استحالت المدينة المنورة الي بركان يقذف بحمم الندب والبكاء واشتعلت نيران الحزن في كل صدر وفي كل قلب، لولا أن اخذ الصحابة يتلون القرآن الكريم مثل قوله تعالى: " إنك ميت و إنهم ميتون " فبدأت السكينة تنزل على نفوسهم). ورثاه حسان وندبه – كما سبق ذكره – بقصيدة وتحدث فيها عن منزل

الرسول ومنبره وقبره صلى الله عليه وسلم ورثاه كثيرون غير حسان وهو من اصدق أنواع الرثاء لان البكاء عليه بكاءا على الأمين والأنفع للبشرية كلها، والعلاقة التاريخية بين الراثين ورثاء الرسول صلى الله عليه وسلم من باب رثاء النافع الذي جاء بالهدى ونور الاسلام للناس جميعا ويوم القيامة شفيع لنا [١].

(٣).. إذا تأملنا في رثاء الزعماء في العصر الحديث كرثائه شوقي لزعماء الوطنية مصطفى كامل، ومحمد فريد، وسعد زغلول، ومحمد عبده وغيرهم، فهو من باب رثاء النافع للشعب المصري وتتجلى فيه الإشادة ببطولاتهم واعمالهم الجليلة النافعة كرثاء لمصطفى كامل [٢]:

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مآتم والداني

رثاء الشعراء لأنفسهم:

عندما يواجه الشعراء الموت، نراهم يدعون ربهم في ساعات احتضارهم ويتذكرون أنفسهم ويبكونها بكاءا مليئا بالحسرة والألم (وطبيعي أن يندب الشعراء أنفسهم وهم يفارقون دنياهم من ورائهم إلي حفرة مظلمة... انها ساعات ثم يخرج المشيعون من هولهم وورائهم، يحملون نعوشهم إلي قبورهم، ويدفنونهم في لحودهم ويوارونهم في التراب ويعودون، ليتم كل منهم دورته في الحياة) [٣] ويقال أن أول من بكى على نفسه وذكر الموت في

---

(١) الرثاء د / شوقي ضيف صـ٣٥.

(٢) الشوقيات جـ٣ صـ١٥٣.

(٣) الرثاء د / شوقي ضيف صـ٣٠.

شعره يزيد بن حذاق إذ يقول على لسانه [١]:

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق

قد رجلوني[٢] وما رجلت من شعث[٣] وألبسوني ثيابا غير أخلاق

ورفعوني وقالوا: أيما رجل وأدرجوني كأني طي مخراق[٤]

وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح التراب أطباقي

هون عليك ولا تولع بإشفاق فإنما مالنا للوارث الباقي

وهذه الأبيات تذكرنا بيائية مالك بن الريب التي يقول فيها في الوداع الأخير عندما وجد نفسه غريبا عن وطنه وديار ه وينزل به الموت ولا يجد مفرا من لقائه، وينظر حوله، فلا يجد أحدا من أهله، فليس معه من سيشيعه ولا من سيحفر له لحده ولا من يبكيه ويندبه، فناح على نفسه قائلا [٥]:

تذكرت من يبكي علي فلم أجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا

وبالرمل منا نسوة لو شهدننى بكين وفدين الطبب المداويا

---

(١) المفضليات تحقيق وشرح أحمد محمد شاكي وعبد السلام محمد هارون – الطبعة السادسة دار المعارف ١٩٧٩م صـ٢٩٩.

(٢) رجلوني: الترجيل تشريح الشعر وتنظيفه.

(٣) الشعث: تفرق الشعر وانتقاداته.

(٤) طي مخراق: العمامة التي يلهو بها الصبيان ثم يضرب بها بعضهم بعضا لسان العرب لابن منظور دار صادر بيروت.

(٥) شاعر يرثي نفسه للمالك بن الريب د/ محمد عبد النعيم عبد الكريم صـ١٦.

فمنهن أمي وابنتـ ـاي وخـالتي وباكية أخرى تـهيج البواكيا

وما كان عهد الرمل مني وأهله ذميما ولا بالرمل ودعت قاليا

إلي أن يقول [١]:

يقولون لا تبعد وهـم يدفنونـي وأيـن مكـان البعـد إلا مكانيا

غداة غد، يالهف نفسي على غد إذا أدلجوا عني، وخلفت ثاويا

والمرثية طويلة كلها شكوى وبكاء ونواح وحسرة الشـاعر علـى موته غريبا بعيدا عن أهله وعشـيرته، وهـو المقصـود بقولـه: وبالرمل منا نسوة أمة وأخته وزوجته وابنتيه.

ونلاحظ هنا العامل النفسي للشاعر حيث إنه يعاني مـن الحرمـان خاصة عدما تذكر ما حدث له ونظر حوله لحظة وفاته فلم يجد مـن يبكي عليه غير السيف والرمح ونسوة في المدينة.

---

(١) ينظر جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبو زيد محمد بن أبـي الخطاب القرشي – تحقيق محمد علي اليماوي دار نهضة مصـر الفحالـة ١٩٨١ صـ١٢٠، والمنتخب من أدب العرب جمع وشـرح طـه حسـين وأحمد الاسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري وأحمـد ضيف ط المطبعة الأميرية بولاق ص ١٩٣٥ جـ٣ صـ٧٦.

ملامح التجديد في عالم الرثاء للنفس:

ظهرت معالم هذا اللون الفريد من الرثاء في العصر الأموي بصورة أكبر حيث ولد رثاء النفس وبكاؤها بسب الظروف المحيطة في هذا العصر من عدم استقرار وانقسام الأحزاب وأدى إلى تفلوت الأفكار و أدى إلى تزعزع النفوس والاتجاه نحو الصعلكة وقطع الطريق مثال ذلك الشاعر مالك بن الريب وغيره كثير من الشعراء الذين بكوا أنفسهم وتفجعوا عليها ورثوها وعبروا عن مشاعر إنسانية نادرة تستحق الدراسة والتحليل.

وهذا شاعر آخر هو قطري بن الفجاءة التميمي،يقول ونفسه تنازعه أن يترك الميدان، وينجو بجلده – من ملاقاة الموت، إلا أن يقول لنفسه، ليثبتها في موقف الهول، واحتمال أن تنشب المنية أظفارها [1]:-

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي

فصبرا في مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع

سبيل الموت غاية كل حي ... فداعية، لأهل الأرض داع

وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع

والشاعر هنا يخاطب روحه ويستجمع كل ما لديه من خواطر وانفعالات للتصبر في ميدان القتال فإن الموت هو مصير كل حي

---

(١) المنتخب من أدب العرب.

ولحظات الموت كما عبر عنها الشاعر هنا صعبة رهينة.

وتصوير لحظات الموت عبر عنها قلة من الشعراء الإسلامية على رأسهم مالك بن الريب ويزيد من حذاق وعبد يغوث الحارثي وتميم بن جميل السدوسي، وله – أي تميم قصة رائعة عندما كان على وشك ملاقاة المنية وهو يحدق في الموت المرتقب حياله حينما نسبت إليه جريمة اقترفتها يداه، واعتقلته الشرطة وجيء به موثقا إلي المعتصم، ودعاه المعتصم للدفاع عن نفسه قبل تنفيذ الحكم فيه.. فقال للمعتصم[1]: (لقد عظمت الجريرة، وانقطعت الحجة، وساء الظن،.. ولم يبق إلا عفوك، أو ... انتقامك، وأرجو أن يكون أقربها وأسرعها إلي أشبههما بك، وأولاهما بكرمك.. ثم أنشأ يقول على البديهة [2]:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيثما أتلفت

وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرئ مما قضى الله يفلت

.. ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... واكبدهم – من حسرة تتفتت

فإن عشت عاشوا، خافضين بغبطة ... أذود الردى عنهم، وإن مت موتوا

وبلغ من تأثير هذا الدفاع الشعري البليغ، أن تأثر به المعتصم أبلغ تأثير، فقال: (كاد والله، ياتميم، يسبق السيف العذل. وقد وهبتك

---

(١) العقد الفريد جـ٢ صـ١٥٩.

(٢) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لأبن بسام تحقيق د/إحسان عباس ط الاونى دار العرب الإسلامى صادر بيروت جـ٤ صـ٣١ .

وقد روى أن الإمام أبا حامد الغزالي وجدت بجواره، عقب وفاته، هذه الأبيات:

قل لإخوان رأوني ميتا ... فبكوني، ورثوا لي حزنا

أتظنون بأني ميتكم ... ليس ذاك الميت والله أنا

أنا في الصور، وهذا جسدي ... كان بيتي... وقميصي زمنا

أنا عصفور، وهذا قفصي ... طرت عنه.. وبقي مرتهنا

احمد الله الذي خلقني ... وبني لي في المعالي مسكنا

كنت قبل اليوم ميتا بينكم ... فحييت.. وخلعت الكفنا

ما أرى نفسي إلا أنتمو ... واعتقادي إنكم أنتم أنا

فارحموني وارحموا أنفسكم ... وأعلموا أنكم في إثرنا

وهي أبيات عميقة المغزى، تهون من شأن الموت، بشرط أن يكون المرء قد ختم حياته بصالح العمل، كما اتفق ذلك للإمام الغزالي.

تصوير الحياة بعد الموت:

وكثيرا ما يصور الشاعر حياته بعد الموت للواقع المرير الذي يعتقد ملاقاته إياه كالشاعر عبد الرحمن صان الدين الشاعر المعاصر الذي انتقل إلي رحمة الله تعالى في صباح يوم الاثنين الموافق الثاني والعشرين من أكتوبر عام ٢٠٠١م ويصور لنا فظاعة اللحظات الأخيرة والرحلة الشاقة التي يمر بها وهو الذي رأى الموت بخياله قبل ملاقاته له بجسده في آخر أنفاسه بقوله في مناجاة الموت [١]:

يا برزخ الأرواح إني قادم ... كدحا إليك وقد شددت رحالي

أواه من عمر تسرب من يدي ... أواه من وزري ومن أثقالي

وسفينة الموت المحتم قد دنت ... وشراعها المنشور صار حيالي

في غمضة، أو شهقة،أغدو بها ... في الراحلين، أجر في أسمالي

إلي أن يتساءل بقلق شديد عن نهاية أمره فيقول [٢]:

أترى مقري فيك جدب قائظ ... أم انه.. في روضة وظلال

أيكون من فوق الأرائك مضجعي ... أم فوق جمر محرق وصلال

وأحل في أنس يسكن روعتي ... أم في ظلام: جائش الأهوال

---

(١) ديوان أعاصير وأنسام للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين ط الاولى الهيئة المصرية العامة لكتاب عام ١٩٩٠ ن ص ١٠٠.

(٢) ديوان الإنسان في الميزان للشاعر صان الدين.

ويلي إذا دنت المنـــون وقصـــرت بي عن صعود المرتقى.. أعمـــالي

فهو يصور صعوبة المرحلة بعد الموت وبعد انتقالـــه مـــن الحيـــاة الفانية إلي ملاقاة ربه، إلا انه لا يلبث أن يحدثنا بإحدى خماســـيات ديوانه (الإنسان في الميزان) عن حاله – وكيف يستشـــعرها بعـــد موته وهو لا يزال حيا بقوله:

كنـــت فـــي جســـمي أســـيرا بيـــد الأهـــوال أمـــــري

صـــرت حـــرا،دون قيـــد حيـــن فـــك الله أســـــري

كنـــــت لا أدري فصـــــر ت اليـــوم بالمســـتور أدري

وانجلى عنـــي الـــذي غشـــ شـــى فـــؤادي طـــول عمـــري

وفي قصيدة أخرى يصور لنا الحياة والموت، كما شـــاهما الله عـــز وجل لعباده، ولذا فقد اختار لها عنوان: (خذها كما هـــي) وفيـــها يقول، في وصف الحياة [1].

الأرض تنبت والحدائق تثمـــر والظل يورف، والنسائم تخطـــر

والماء يجري في الجداول سلســـلا والمزن يعقد في السماء ويمطـــر

والأرض – إن حجب الغمام غياثـــها فعيونـــها بنميرهـــا تتفجـــــر

والليل – إن أرخى السدول – فانه يبدي مصـــابيح النجـــوم ويقمـــر

والرزق للأحياء يـــأتي غـــامرا من حيث لا تـــدري ولا تتدبـــر

---

(١) ديوان أعاصر وأنسام صـــ٧٥.

إلي أن ينتهي إلي قوله: متسائلا ومحذرا من سوء العاقبة:

فعلام يا إنسان تركض لاهثا ... وبين الوعر، بظلمة.. تتعثر

تسطو على أرزاق غيرك عنوة ... وتظن انك بـ (الغنائم) أجدر !

هل أنت في هذى الحياة مخلد ... تحيا على بسط النعيم وتخطر

أم أنت - مثل الخلق - تخفق برهة ... حتى يوافيك الحمام.. فتقبر ؟

ثم ينتهي إلي نهاية رحلة الحياة المحتومة، التي ينبغي الا ننساها بعد المراحل المختلفة التي تمر بها، بقوله:

يا ناقما ماذا تريد من الحيا ... ة وأنت فيها قطرة.. تتبخر ؟

أتريدها صفوا، كما تهوى، فلا ... تنتابها سحب ولا تتكدر ؟

ذاك الذي ما ناله إنس، ولا ... جن... له عرض الحياة مسخر

ومن أبياته ندرك مدى عمق معرفته وإدراكه للحياة والموت بعد أن ذاق حلوها ومرها، طوال الثمانية والسبعين عاما التي عاشها ومن ثم حق له أن يقول في ختام قصيدته تلك:

لا الحسن يبقى في نضارة حسنة ... كلا، ولا قبح يظل ينفر

تتقلب الأمواج في بحر الحيا ... ة وفي نهاية أمرها تتكسر

وهو في البيت الأخير، يعطينا صورة بارعة متحركة، لأمواج البحر - أو العمر - الهادرة المتعاقبة، التي ينتهي أمرها إلي التكسر والتلاشي، عند الشاطئ الآخر، شاطئ الآخرة التي ينتهي إليها الأحياء جميعا.

وتنتقل إلي شاعر آخر هو الطبيب الشاعر عزت شـــندي موســى ونقف أمام قصيدته المتفردة التي نظمها لتلقي بعد رحيله، بنـــدوة شعراء العروبة، بناء على وصيته، فوقف الشاعر أحمد مصطفـــى حافظ ينشد أبيات هذه القصيدة بصوت باك متهدج في حفل تأبينـــه ويقول فيها:

سيذكرني قومي إذا إغتالني الـــردى وغبت عن الدنيا، وطال بي المـــدى

يناجونني... والموت بيني وبينـــهم وفي حلكة الظلماء يرجـــون فرقـدا

فيبكي دما أهلي، فقد كنت عنـــهمو أذود عوادي الدهر إن جار واعتـــدى

ثم ينتقل إلي الحديث عن نفسه ووقائع حياته، بقوله:

وكم برح الحزن العميق بنفســه لكل حبيب غاب ن والموت أبعدا

وأبكاه بين الدوح نوح حمامـــة تملا في مساء غمـــائم وتـــرددا

شجاه شجاها، فاستبد به الأسى وشـــاركها أحزانـــها وتنـــــهدا

وكم سهدت عيناه في السهد والعنـــا وآن لـــه.. أن يســـتريح ويرقـــــدا

وفي قصيدة أخرى تحمل عنوان (عظـــة المـــوت) يختتمـــها بـــهذا الدعاء:

فيا رب هون ساعة الموت كربتـــي وخففت من النزعات في الموت وارحـــم

ويسر حسابي يوم أعرض خاشعا بقلب جريح بالتبـــاريح مفعـــم

ثم ينتقل إلي مناجاة القبر بقوله:

ويا قبر مهد لي مكانا يريحنـــي ويمسك أعضائي ويحفظ أعظمي

ويا قبر كن رحبا ولا تك ضيقا فقد جئت ضيفا للكريم المعظم

والبيت الأخير، يذكرنا بقول القائل في موقف مماثل:

تقول لي النفس أتاك الردى وأنت في درب الخطايا مقيم

فما ادخرت الزاد ؟قلت اقصري هل يحمل الزاد... لدار الكريم ؟

وفي مناجاة الموت نلتقي بشاعر آخر هو أبو القاسم الشابي[1] الذي كان ممتلئا بحب الحياة إلي أقصى مدى، لدرجة انه يتحدى الداء والأعداء كي يبقى شامخا في صميم الحياة فيقول:

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء

أرنو إلي الشمس المضيئة هازئا بالسحر والأمطار والأنواء

لا ألمح الظل الكئيب ولا أرى ما في قرار الهوة السوداء

وأسير في دنيا المشاعر حالما غرر.. وتلك سعادة الشعراء

إلي أن يقول متحديا:

لا يطفئ اللهب المؤجج في دمي موج الأسى وعواصف الأرزاء

النور في قلبي، وبين جوانحي فعلام أخشى السير في الظلماء ؟

وأنا الخضم الرحب ليس تزيده إلا حياة سطوة الأنواء

---

(١) الشابي شاعر الخضراء للأستاذ حمدي محمد عبد الوهاب ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٧ صـ١٢٥ وما بعدها.

إلا انه رغم هذا التفاؤل الشديد، يصدم بموت حبيبته، التي يـروي لنا قصتهما معا بقوله:

كنـــا كزوجـــى طـــائر ... فـي دوحـة الحـب الأميـــن

نتلـــو أناشـــيد المنـــى ... بيـن الخمـــائل والغصـــون

مـلأ الـهوى كـأس الحيـــا ... ة لنـا، وشعشـعها الفتـــون

حتـى إذا كدنـــا نرشـــف ... خمرهـا.. غضـب المنـــون

فـأراق خمـر الحـب فـــي ... وادي الكآبـــة والأنيـــن

وشدا بلحن الموت فـــي الـــ ... أفـق الحزيـــن المســـتكين

ثـم اختفـى بيـــن الغيـــو ... م كأنـــه الطيـــف الحزيـــن

ثم لا يلبث أن يتجه إلي الموت، وجها لوجه، ليخاطبه بقوله:

يـا مـوت، مـــاذا تبتغـــي ... منـــى وقـد مزقـت صـدري ؟

مـاذا تـــود وانـــت قـــد ... ســودت بـالأحزان فكـــري ؟

إن كنـــت تطلبنـــي فـــها ... ت الكـأس أشـربها بصـــبر !

.. خذني إليك ! فقد (تبخـــر) ... فـي فضـاء الـــهم عمـــري

خذنـــي إليـك فقـد ظمئـــــ ... ت لكأسـك الكـــدر الأمـــر

وبعد ذلك، يسدل ستار الختام في قصيدته (في ظل وادي المـوت) بقوله الذي يصور حياة الشابي تصويرا دقيقا.

قد رقصنا مع الحيـــاة طويـــلا وشدونا مع الشـــباب ســـنينا...

خنتنـــي إليـــك فقـــد ظمئـــــ ت لكأســـك الكـــدر الأمـــــر

وعدونـــا مـــع الليـــالي حفـــاة في شعاب الحيـــاة حتـــى دمينـــا

وأكلتنـــا الـــتراب حتـــى مللنـــا وشربنا الدمـــوع حتـــى روينـــا

ونثرنا الأحلام والحـــب والآلام والياس، والأســـى حيـــث شـــفيا

ويقول في مقطع آخر:

ثم ماذا؟ هذ انـــا صـــرت فـــي الدنيا بعيدا من لـــهوها وغناهـــا

في ظلام الفناء، أدفـــن أيـــامي ولا أســـتطيع حتـــى بكاهـــــا ؟

وزهور الحياة تهوي بصمـــت محزن، مضجر ن علـــى قدميـــا

ثم ينتهي إلي البيت التالي، الذي يصف المأساة بأســـرها، وتأهبـــة لاستقبال الموت الذي يذكرنا بقول المتنبي (وحسب المنايا أن يكـــن أن يكن أمانيا) فيقول:

جف سحر الحياة، يا قلبي البـــاكي فـــهيا بخـــرب المـــوت... هيـــــا

إنه القرار الأخير للشاعر: التحول إلي الجفاف واليأس الخانق إلـــي عالم جديد: هو عالم (الموت)، الذي أراد الشاعر تجربته وفي مقطع آخر يسترسل قائلا ومبينا:

في فجاج الردى قد دفنت الألم
ونثرت الدموع لرياح العدم

ثم ينفث زفرته التالية:

الوداع الوداع يا جبال الهموم
يا ضباب الأسى يا فجاج الجحيم
قد جرى زورقي في الخضم العظيم
ونشرت القلاع فالوداع الوادع

ومن بدائع ما قيل في رثاء النفس للعقاد، في خواتيمه، قوله مزدهيا ومعتدا بنفسه غاية الإعداد [1] :

خلعت اسمي على الدنيا ورسمي فما أبكي رحيلي أو مقامي
حياتي في حياة الكون طرا كقطر الغيث في اللجج الطوامي

وقوله:

أنا شيء، فكيف أصبح لا شيء إذا تم للحياة مداها ؟!
أغلب الظن أنني سوف أرقى غاية بعدها، تفوق ذراها

ثم يوصي – حينما يلقى الردي، بالوصية التالية:

---

(١) ديوان عابر سبيل لعباس محمود العقاد. ط الهيئة المصرية للكتاب.

إذا شيعوني يوم تقضى منيتـــي وقـــالوا أراح الله هـــذا المعذبـــا

فلا تحملوني صامتين إلي الـــثرى فـــإني أخـــاف اللحـــد أن يتـــــهيبا

وما النعش إلا المهد:مهد بني الورى فـــلا تحزنـــوا فيـــه الوليـــد المغيبـــا

ولا تذكرونـــي بالبكـــاء، وإنمـــا أعيدوا على سمعي القصيد فأطربا !

وقد تم تنفيذ هذه الوصية – ولكن ليس كما أراد الشـــاعر بـــالترنم بالقصيد عليه – وذلك عندما توفى في الثاني عشر من شهر مارس عام ١٩٦٤ ميلادية.

وللعقاد قصيدة أخرى، في رثاء النفس أيضا، ولكـــن بشـــيء مـــن التفاؤل، وبعيدا عن الحسرة والنواح، إذ يقول فيها:

ستغرب شمس هذا العمر يومـــا ويغمض نـــاظري ليـــل الحمـــام

فهل يسري إلي قـــبري خيـــال من الدنيـــا... بأخبـــار الأنـــام ؟

ويمسي طيف من أهوى ســـميرى ويؤنـــس وحشـــتى ترجيـــع هـــام

وأحلـــم بـــالزواهر دائـــــرت وبـــالزهر المنـــــور والغمـــام

ألا ليت النيـــام هنـــاك تخطـــى بـــــأحلام كـــــأحلام النيـــــام

وليت الورد يورق فوق راســـي فتعبق، في نوافحـــه، عظـــامي !

وأبسم – في أزاهرة – لدنيـــا عبست لوجهها... فوق الرغـــلم !

وللعقاد قصيدة ثالثة تصور مدى حبه الشديد للحياة، ورغم ذلك يختتمها بما لا نتوقعه منه، بنجوى الموت وشدة الحنين إليه.. يقول:

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا عذب المدام، ولا الانداء.. ترويني

حيران حيران، لا نجم السماء ولا معالم الأرض في الغمام تهديني

يقظان يقظان.. لا طيب الرقاد، يدا وينى ولا سمر السمار يلهيني

إلي أن يقول فجأة، عكس ما هو متوقع من سياق القصيدة:

يديك فامح ضنى، يا موت، في كبدي فلست تمحوه إلا: حين تمحوني

وترديد مرتين في الأبيات الثلاثة الأولى للفظة (ظمآن – حيران – يقظان) تدل عى شدة انفعاله بموضوعه بلهفة شديدة، ينشد فيها الخلاص من مشاعر متناقضة كانت تعم في كيانه وتغمر وجدانه..

وللعقاد قصيدة أخرى متفردة، قالها في رثاء طفلة لا تمت له بصلة، لأنه لم يتزوج وبالتالي ينجب.. يقول في هذه القصيدة [1]:

زهرة كان وجهها نور قلبي وناظري

حملتها يد الردى حمل من لم يحاذر

متوارت، ولم يزل عرفها ملء خاطري

يا ضياء تضمنته بطون الدياجر

---

(١) ديوان العقاد. جـ١ صـ٥٣.

قـده أجنـوك فـي الـثرى يـا جنيـن.. للضمـائر

فـالزمى الرمـس حيـن لا حلـم فـي عيـن بـاصر [١]

فـإذا أقبـل الدجـى وعفـا كـل سـاهر [٢]

فـأطر قينـا علـى الكـرى حلمـا غـير نـاضر

وصلـي عيشـك الـذي كـان أحـلام سـادر [٣]

وامرحـي فـي صدورنـا واضحكـي.. فـي السـرائر

ثـم عـودي إذا الصبـا ح تجلـى..فبـاكري

إن صعبـا علـى الصغـا ر احتبـاس المقـابر

وفي هذه الأبيات لم يسبق إليها، فيها من فكر العقاد، واتقاد ذهنه ورهافة احساسه الشيء الكثير.

و كما هو معروف أنه (من أشد الرثاء صعوبة علـى الشـاعر أن يرثي طفلا أو امرأة لضيق الكلام فيهما وقلة الصفات) [٤] وهو قول يبدو لنا غريبا إذ لا نستطيع أن نتصور ما هو أفدح وأقسـى مـن

---

(١) الزمى: اسكني – الرمس: القبر.

(٢) الدجى: الظلام.

(٣) صلى: أوصلي.

(٤) العمدة لابن شيق جـ٢ صـ١٢٤.

انطفاء الحياة في طفلة بريئة تتفتح للحياة أبعد ما يكون الظن بـها أن تموت.

وبرغم ذلك نجد مراثي الأبناء غير قليلة في الشعر العربي بعامـة نهي تعد من عيون الشعر العربي (١).

أما عبد الرحمن شكري شاعر مدرسة الديوان فقد أكثر مـن ذكـر الموت في العديد من قصائدة، نلمح ذلك في قصائده التـي تحمـل عناوين: " ضوء القمر على القبـور " و " المـوت والنخيـل " و " النساء في الحياة والموت " وغيرها.

وله قصيدة بعنوان " صوت الموتى " يقول فيها (٢):

ألا إن للأموات صوتـا، كأنـه خرير المياه الجاريات على الصلد

ويحكي خفيف الغصن في لين وقعـه وطورا... كأصداء الطبول علـى بعـد

ويعول أحيانـا، كـإعوال ثـاكل رمتها صروف الدهر في الولد الفرد

****

ينن أنيـن الريـح عنـد خفوتـها ويعوي عواء الذئب في المهمة القفـر

ويصرخ أحيانا، فيحكي صراخـه صراخ العباب الغمر في لجج البحـر

---

(١) المرثية الجاهلية د / عائشة عبد الرحمن ط جامعة عين شـمس ١٩٦٢م صـ٢٢ بتصرف.

(٢) عبد الرحمن شكري نظرات في شعره للدكتور أنسى داوود ط ١ المكتبـة الثقافية سنة ١٩٧٠م صـ٩٩-١٠٠.

يئن أنين الليل إن هـــدأ الــورى وطورا.. له صوت كحشرجة الصدر

وفي هذه الأبيات ما فيها، من تصوير لوقع المــوت علــى الثــاكل واليتيم، وسائر الأحياء جميعا ووصف لأصــوات المنكوبيــن فــي عزيز لديهم، تارة بالنشيج، وأخرى بالإعوال، وثالثة بالبكــاء فــي صمت حيث تذرف العين دمعها في سكون وريث.

ويقول في قصيدة أخرى تحمل عنوان (غلام مريض يكلم أمه):

خبريني امي أئن مــت مــاتت نزعــاتي أليكمـــو وحنينـــي

والحنان الــذي ترين بعينــي امضــئ ســواد تلــك المنـــون

وهل المرء في الممات غبيــن أم هو المرء فيــه غــير غبيــن

عاهديني أن لا تعاني لموتـــي حرقات تفيــض مــاء الشــجون

إلي أن يقول بلسان هذا الغلام المشرف على الموت:

لست أرضى لأضلــع حملتــي أن تعاني حما الأســى المكنــون

العصافير في الريــاض تغنــي لا كجسمي.. تحت التراب دفيــن

أما المازني، أحد شعراء مدرسة الديوان الثلاثة، له قصيــدة فــي الموضوع ذاته تحمل عنوان: (فتى في سياق الموت) [1] يعطينــا فيها وصفا تفصيليا دقيقا، للفتى الــذي حضــر ســاعة احتضــاره

---

(١) ديوان المازني جـ١ صـ٣.

وسجلها بحذافيرها بقوله:

نعد أنفاسه ونحسبها ... والليل فيه الظلام يلتطم [٢]

إذا خروج الحياة أجهده ... تساقطت عن جبينه الديم

صدر كصدر الخضم مضطرب ... حجافل الموت فيه تزدحم

إن قام ملنا له بمسمعنا ... أو نام.. خفت بوطئنا القدم

يرتاع من حلول نومه الأمل ... ويشتكيه الرجاء والسأم

كأنما الخوف من تردده ... خيل لها من رجائنا لجم

خلناه قد مات وهو في سنة ... ونائم الجفن.. وهو مختزم

قد قلصت ثغره منيته ... كأنه للحمام يبتسم !

فهذا الفتى الذي يودع الحياة تحت سمع وبصر من يحيطون به، تعد أنفاسه وتحسب، لأنها أنفاس أخيرة، تحت سدفة الليل، ويلاحظ الشاعر أن ساعة الغرغرة، التي تفارق فيها الروح الجسد، تجهد الفتى أيما إجهاد، حتى يسيل عرق جبينه، كأنه المطر المنهمر ويصور صدر المحتضر، في اضطرابه وعلوه وهبوطه بأن يمثل ملائكة الموت وهي تزدحم من حوله لقبض روحه، ثم يعطينا صورة حسية واقعية ما يحدث في مثل هذا الموقف، لأن المحتضر إذا حاول القيام، مال الجميع نحوه للاستماع إلي ألفاظه التي لا تكاد

---

(٢) نفسه صـ

تبين و إذا أدركه شبه النعاس، حاذر كل الموجودين على عدم احداث جلبه بأقدامهم، حتى لا يزعجونه... ثم يعطينا المازني صورة حية لارتياع (الأمل) إذا أطال المحتضر النوم، حتى ليكاد الأمل ينقطع من يقظتة مرة أخرى. ثم يزجينا المازني في صورة اخرى متحركة للمتحضر يصور فيها تردد أنفاسه الواهنة بخيول يلجمها ويمنعها من الانطلاق خوفنا على الفتى المحتضر من وقوع الواقعة، بموته البطئ.. ومن فرط حيرة من يحيطون بالمحتضر، يحسبون أنه قد مات، رغم انه مازال في سنة من النوم، كما يحسبونه نائما، بعد أن نفذ السهم ومات الفتى.. ثم يعطينا صورة عجيبة لفم الميت، الذي قلصه الموت، وظهرت بعض أسنانه في شبه ابتسامه، ابتسامة الموت !

وللزهاوي قصائد عدة عن الموت [١] نختار منها، قوله في تصوير طبيعة الموت، وما بعده من أهوال ومآل، فيقول:

للمرء في الارض الفضاء مسلكن أنى مضى.. والقبر آخر مسكن
والموت فوق جنادل وصفائح كالموت حم على فراش لين
قالوا وراء الموت اهوال.. ولم أجفل بما قالوا.. ولم أتيقن
ولعل هذا الموت مبدأ رحلة للروح خالدة.. وراء الأرض

---

(١) في موكب الخالدين: عبد السميع المصري دار الكتاب العربي ١٩٦٠م صـ١٠٧.

وكأننا صـور الخيـال لبرهـة تبدو وتخفي في شـعاع الأعيـن

كان هذا تخيله للموت ؛ بمجرد التفكير فيه ومحاولة تفسير معنـاه عنده، دون أن يكون قد اجتاز تجربة قاسية تشعره بما للموت مـن سكرات، إلا انه، قبل موته بشهور أصيب بنوبة قلبيـة، أدت إلـي الوقوع مغشيا عليه، اثناء نزوله من احـدى السـيارات، وعندمـا أفاق، أبت عليه شاعرينه، إلا أن يصور التجربـة العمليـة التـي تعرض لها، فقال بقصيدته التي عنوانها (إحساساتي) [1]:

قد أتى يـا منيتـي أن تعـود بي،إلي حيث كنت قبل وجـودي

يا أماتي فارقيني، ويـا نفـ سي وداعا،ويا حشاشة جـودي

لا تجافي على فـالموت سـهل لا كمـا ينعتونـة بشـديد

يوم لا تطلـع النجـوم علينـا باسمات مـن السـماء.. كخـود

سيقولون شاعر غاب في اللحـ د..وكم غاب مثله فـي اللحـود

سبقتني إلـي المقـابر موتـى أنا في الراحليـن غـير وحيـد

وهي، كما نلاحظ معان مألوفة، إلا أن صياغته لها تتسم بـالحرارة، وإلاجادة، وخاصة حينما يستتلى قائلا:

---

(١) الزهاوي شاعر الحرية تأليف أنور الجندي سلسلة كتب ثقافيـة ط سـنة ١٩٦٠م صـ٧٢/٧٣.

بعد نومي على فـــراش وثـــير عن قريب - أنـــا فـــي أخـــدود

لا انيـــس ولا نســـيم ولا نـــو ـــر يزيل الظـــلام مـــن ملحـــودي

ثم يحدث نفسه، بقوله مهدهدا لها:

يممي يا نفس الســـماء فـــإني لا أرى في الثرى طريق الخلـــود

وتعتريه الشكوك من كل جانب، فيقول متحيرا بعد ذلك:

لست ادري أللفنـــاء ســـنمضى بعد مـــوت، أم ننتـــهي للخلـــود

ورغم نبرة الشك هذه في الحياة بعد الموت، إلا أنه يعود في ختـــام قصيدته إلي التصريح بعقيدته الإيمانية، فيقول

كلنا مؤمـــن يســـبح للرحمـــا ن فـــي ظـــل عرشـــه الممـــدود

إنني ما سجدت يوما لغير اللـــ ـــه، فـــالله وحـــده معبـــودي

وفي عام ١٩١٩م حدث أن نشرت الصحف نبؤة الفلكي الانجليزي (بورتر) انذر فيها بخراب العالم وفقدان جاذبية الكـــون، وحـــدوث الطوفان والزلازل.فقال الشاعر فوزي المعلوف مناجيا الموت [١]:

والآن يا مـــوت إلـــي اقـــترب يـــا مرحبـــا بـــالموثق المعتـــق

معتق نفسي من قيود الأســـى موثق جسمي في المدى الضيـــق

---

(١) فوزي المعلوف: (١٨٩٩-١٩٣٠).

الحب ؟ قف يا موت واشفق على قلبي، ودعه لحظة يخفق

دع مقلتي تبكي قبيل النوى تبكي على الورد، على الزنبق

تبكي على روض غرام ذوى ما فيه من زاه ومن ريق

لي بغية، قبل الردى.. ليتها تمت، فلم أسف ولم أفرق

وتلك.. أن ألمح محبوبتي فنحن بعد اليوم.. لن نلتقي

وشاعر الطائرة، فوزي المعطوف، صاحب مطولة (على بساط الريح) لا يفرق من الموت، بل يعبره مخلصا له من قيود الأسى إلا انه يشفق على احساسه بانه ربما لن يلقى على محبوبته النظرة الأخيرة، ويودعها الوداع الرهيب قبل أن يخترمه الموت.

إلا أن نبوءة الفلكي لم تتحقق، ومات فوزي المعطوف في ريعان شبابه عام ١٩٣٠م، وقام المغتربون في المهجر بإقامة بتمثال من البرونز له بمسقط رأسه في زحلة بلبنان على ضفة البردوني وحديقة البلدية، وازيح الستار عنه في عام ١٩٣٧م وقام برثائه إلياس أبوشبكة وشقيق الشاعر شفيق المعلوف، الذي قال مناجيا شقيقه:

فوزي.. وعالى في الخطوب يران ما هكذا الأخوان يلتقيان

مربت صدري للعناق، فلم أقع إلا على قطع.. من الصوان !

وهو يعني بقطع الصوان التمثال المقام لشقيقه.

أما الشاعرة جليلة رضا، فلها أمنية عجيبة حقا، تبديها في قصيدتها التي تحمل عنوان (هواجس) إذ تقول فيها [١]:

إني أريد أن أمو ت كي أرى.. وجه الفناء !
لكي أغير الوجو ه والدروب والضياء
لكي أضم في يدي شيئا.. سوى هذا الهواء
يا كم اريد..كم اريد أي قلب لي.. يشاء

وللشاعرة قصيدة أخرى بعنوان (الرحيل) [٢] :

عندما أرحل عن هذا الوجود، فتعالوا واملأوا قبري ضجيجا ورعود، لا تبالوا
وانفضوا اللهفة عنكم والهوان، لفراقي ربما أصحو إذا ذقت الحنان يا رفاقي
لا تقولوا أنها كانت وكانت كالرواية ما انا مت وها روحي استكانت في النهاية

والشاعرة هنا تجمع بين الرغبة في الموت والحياة فهي توصي رفاقها أن يملؤا قبرها بالضجيج لعلها تصحوا إذا شعرت بحنانهم وشوقهم لها.

و في جانب آخر نرى أحمد شوقي امير الشعراء يقول متفكرا متفلسفا:

في الموت ما أعي وفي أسبابه كل امرئ رهن بطي كتابه

ونجده يتساءل عن سر الموت في رثائه لإسماعيل صبري فيناجيه

---

(١) ديوان اللحن الثائر للشاعرة / جليلة رضا، ط الثانية دار الطباعة والنشر سنة ١٩٥٧ صـ١٠٤.

(٢) المصدر السابق صـ١١٩.

متسائلا عن كنه الموت:

قل لي بسابقة الـــوداد أقـاتل هو حين ينزل بالفتى ام شـلف ؟؟

وفي رثائه للشعر حافظ إبراهيم نراه يقول مشـيرا لرثـاء نفسـه، والعجيب انه توفي بعدها بثلاثة وثمانين يوما [١]:

قد كنت أوثر أن تقول رثـائي يا منصف الموتى مـن الاحيـاء

لكن سبقت وكل طول سـلامة قـدر، وكـل منيـة بقضـاء

وله إشارات عديدة إلي الموت منها [٢]:

وأي المصرعين أشـد، مـوت على علـم أم المـوت الفـوات

وهل تقع النفوس على أمـان كما وقعت على الحـرم القطـاة

فكلمة القطاة التي وردت في البيت الثاني تدل على الحركة السـويعة والاضطراب والارتعاش وفيها ايحاء لمشاعر الشاعر نحو المـوت من وجل. وله بيتان يذكر فيها الموت والرحيل فيقول بعمق وجيز:

أقول لهم في ساحة الدفن خففـوا على ولا تلقوا الصخور على قـبري

ألم يكف هم في الحيـاة حملتـه فاحمل بعد الموت صخرا على صخر

---

(١) ديوان الشوقيات للشاعر أحمد شوقي، وذكرى الشاعرين حافظ وشـوقي. لأحمد عبيد ط عام الكتب ١٩٨٥ صـ٢٩١.

(٢) رثاء النفس في الشعر العربـي د/ عبـد الله أحمـد باقـازي ط المكتبـة الفيصلية سنة ١٩٨٧ صـ١٦٩.

فهو يوصي ذويه،ومن حوله بالدعاء له وتخفيف لحظات الدفن بعد مماته

ونجد الشاعر محمد فضل إسماعيل [١]، شاعر السويس، يقول محاولا أن يستكنه حقيقة الموت، بعد إمعان ابحث والتفكير العميق فيقول [٢]:

قرأت كتاب الموت من عهد آدم ... إلي يومنا هذا.. ولما اتمم

وعودت نفسي،عن قرأت صحيفة ... أو احتجت في بحثي لسفر ومعجم

.. قرأت إلي أن يفرغ الصبر كله ... وطالعت حتى كل حرف مطلسم

فاعرف ما ترمي اليه سطوره ... واخرج بالمغزى على خير مغنم

ولكن سفر الموت خيب فطنتى ... وضيع آمالي فلم اتفهم

إلي أن يقول بختام القصيدة:

تحيرت يا رباه في الأمر الذي ... أمام جلال الموت قد جئت ارتمي

فسبحانك اللهم أنت خلقتنا ... من الطين في لحم على بعض أعظم

نروح ونغدو في الحياة فإن دنت ... يد الموت لم ننبس ولم نتكلم

---

(١) ولد الشاعر محمد فضل اسماعيل في بلد فاقوس بمحافظة الشرقية عام ١٨٩٨م وتعلم فيها ثم انتقل مع والده الي مدينة السويس وقال الشعر اثناء دراسته بالأزهر، توفي عام ١٩٦٩م.

(٢) ديوان محمد فضل اسماعيل ط المجلس الأعلى للفنون والآداب عام ١٩٧٢ صـ٢٣٨.

وعدنا- كما كنا - ترابا مـهادنا صخور وفي ضيق من القبر مظلم

ولم يبق للدنيا سوى ذكرياتنـــا إذا ما فقدنا: صورة اللحم والـــدم

والشاعر هنا قد أفرغ شحنته الشعورية، بعد تفكير عميق متواصل بين الحين والحين، في طبيعة الموت، وهو يراه رأي العيـــن مـن حوله، غاديا رائحا، فيمن يفقد من الأحيـــاء الأحبـــاء والأقربـــاء، وغيرهم في صلة ممتدة بين بطن الأم، وبطن الأرض.. فاستلت له القوافي زمامها، وواتاه التعبير سلسا طيعا، لفرط ما اختزن فـــي لا شعوره من تأمل وتعجب، لأمر هذا الموت، الذي يمر ويمضي قدما في انتزاع الأرواح من الاجساد، بيـــن الحيـــن والحيـــن مصداقـا لقول الشاعر [١]:

تنفك تسمع ما جيت بها لك حتى تكونه

وهناك شاعر آخر فكرة الموت تلازمه كظله وتمشـــى معـــه دروب حياته وتتعبه وتريحه، هو الشاعر عبد اللطيـــف النشـــار شـــاعر الإسكندرية الرحل.وأول ما يلفت النظر ويهز الوجدان للقارئ فـــي ديوانه هو النغمة الحزينة التي يحفل بها الديوان وتسري في عمـق أعماق الشاعر خاصة عند ما يقول [٢]:

---

(١) وقفة مع الشعر والشعراء تأليف جليلة رضا ط الهيئة المصرية العامـــة للكتاب سنة ١٩٨٧ صـــ١٢٨.

(٢) ديوان عبد اللطيف النشار.

إن في الموت راحـــة لحزيـــن لا يرى في الحياة وجـــه هنـــاء

وظـــلام القبـــور أحســـن فـــي عيني ممـــا أرى مـــن الأضـــواء

قد مللت الحيـــاة واشـــتقت أن أعرف ماذا يكـــون بعـــد الفنـــاء

ويتوغل الشاعر في أعماق النفس البشرية فيقول بلغـــة الـــدارس لمشاعر الوجدانية، الفيلسوف الحكيم في قصيدة أخرى:

وما العمر إلا ساعة ثم تنقضـي وكـــل إلـــي ورد المنيـــة ســـائر

ويرنو إلي الشمس وهي مشرقة ، ولكنها تكون أكثر اشراقا عنـــد المقابر فيهتف في مرارة [1]:

نحن مطايا الموت تسري بنـــا إلـــي خفايـــا الزمـــن المبـــهم

فلينقض العمر كمـــا ننقضـــي فغايـــة الخـــالق لـــم نعلـــم

وأخيرا ورغم إبداعه الإبداع كله في قصائده الحزينة لكنه يظن انـــه لم يعطها حقها في الجودة وحسن التعبـــير فيقـــول فـــي (الحيـــاة والموت):

إذا ما وصفت اللهو جودت وصفـه ولكن حزني فوق ما أنـــا واصـــف

تخافون وقع الموت؟ والموت سلوتى إذا راعنى خطب من الدهر عـــاصف

و نلاحظ أن شعر عبد اللطيف النشار في ذكر المـــوت والحيـــاة ملـــيء

---

(١) وقفة مع الشعر والشعراء الجزء الأول صـــ١١٩.

بالفلسفة والحكمة.

وقفة تأملية فلسفية مع الموت:

سجل كثير من الشعراء وقفاتهم أمام اللحظات الأخيرة وصعوبة المرحلة بعد الموت وقبلها في الحياة فيحاسبوا أنفسهم محاسبة دقيقة لكل أعمالهم في الدنيا فالشاعر يجب أن يهيأ زاده لقبره ويبني لحياته الأبدية في الآخرة..

والشاعر احمد مصطفى حافظ تناول هذا الجانب في قصيدة له حينما تعرض لحادث تصادم بين سيارتين ذات يوم، وكان يستقل إحداهما ن وكاد الحادث يودي بحياته، بعد إصابته ببعض الاصابات البالغة ويحدثنا، من ثم، بعد استرداد الوعي من أثر الصدمة عن وقع الموت، بعد ما حدث له، بقوله:

والموت باب كلنا لابد أن... أن يعبره

فالتكرار هنا في (أن.. أن) يدل على الاضطراب، وكأنه - بهذا التكرار - يستشعر لحظة الفراق الأبدي وهو شيء مصدق ومكتوب، التي لابد أن يتعرض لها كل إنسان (فمن لم يمت بالسيف مات بغيره، تعدد الأسباب والموت واحد).

وكأن شاعرنا يحاول أن يتقهقر إلي الوراء محاولا، بل مصورا التردد والاشفاق من الإقدام أو الاحجام عن اقتحام وادي الموت، ناسيا - أو متناسيا - أننا معشر البشر، لا نخطو بإرادتنا إلي

الموت، بل إن الموت هو الذي يقتحم علينا وجودنا وكياننا، ليتصيدنا فيمن تصيد ! وفي حالة واحدة فقط، يخطوا الإنسان إلي الموت، وهو يحدق فيه، إذا كان محكوما عليه بالاعدام مثلا لا قدر الله – لجريمة ارتكبها، مع سبق الإصرار والترصد.

ويعود الشاعر أحمد مصطفى حافظ إلي تكرار آخر، في القصيدة نفسها، في البيت الذي يقول فيه [١]:

والعمر مهما طال عند النزع ما.... ما اقصره !

تكرار (ما... ما) في الشطر الثاني، يصور عدم الاعتداد بسنوات العمر، طالت أم قصرت، عند حلول لحظة الوفاة.. وذلك مصداقا لقوله تعالى في حكم آياته عن البعث والنشور في عرصات القيامة " كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها " [٢].

وهناك قصيدة أخرى، متفردة للشاعر أحمد مصطفى حافظ، تحمل عنوان (بين المد والجزر) يقول في تقديمه لها إنها: " من وحي رؤية هيكل عظمي لآدمي، أزعج بعد استرواح الرقاد العميق، في جوف الثرى، وكانت ابنتي طالبة الطب تقوم بدراسة أجزائه " [٣].

ويستوقفنا– مبدئيا– قوله في هذه المقدمة! إن هذا الهيكل:"أزعج

---

(١) ديوان ما أبقت الأيام ط المجلس الأعلى للثقافة الطبعة الأولى ١٩٨١للشعر أحمد مصطفى حافظ صـ٨٧.

(٢) سورة النازعات الآية (٤٦).

(٣) انظر ديوانه أداء وظلال ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٧م صـ٩٥.

بعد الرقاد العميق في جوف الثرى ".. فهل حقا هذا الهيكل، الذي خلا من صاحبه الحي ، بعد فقدان صورة اللحم والدم ، وبعد التحلل والاندثار، هل ما يتخيله الشاعر أمر وقع حقا؟ وهل يشق على (هيكل) المقبور أن يصافح الهواء وأشعة الشمس، ومعايشة الأحياء (الدارسين) وهو ليس منهم،أو لم يعد جسدا ما فيه روح؟ كما قال أبو القباهية:

كل حي سوف يغدو جسدا ما فيه روح

وهذا ما يتطرق اليه خيال الشاعر الوثاب، الواسع التحليق في أعماق قاصية المراح: وخاصة حينما يستهل قصيدته تلك بقوله:

ذلك الهيكل المسجي أمامي كان دينا تشوف وأوآم

ولفظتا (تشوف) و (أوام) تعبران عن شدة الرغبة في استجلاء حقائق الاشياء والظمأ إلي المعرفة والاحاطة بكل شيء وكيف لا.. وإن الإنسان الذي كان يحل في الهيكل منذ حين:

كان فيضا من المشاعر يفهو لخضم من المباهج طام

فهو – أي إنسان الهيكل – يضم بقايا أحد الأحياء، الذي:

كم تملى من سحر طلعة شمس وغدا الدهر.. قابعا في الظلام

أي أن الشاعر صور لنا واقع الحال ، بايجاز شديد، إلا انه ، ايضا أرخى ستار الختام ، على قبوع هذا الحي الميت، مسربلا ، أو قابعا

في دياجير الظلام.

ولكن الشاعر عاد – برغبة عارمة – إلي استدرار عطف القـــارئ وتجاوبه مع الإنسان الذي سبقه إلي العالم الآخر ليذكره بأنه:

كان يفتن فـــي انتـــاء ثيـــاب كيف أمسي... مدثرا بالرجـــام ؟

أي بعد أن كان يزهو ويختال في الثياب التي ينتقيها الشاعر اصبح مجردا حتى من الكفن.. الذي تبدد في ثنايا الثرى.. ثم ينفث الشاعر نفثة حارة متعاطفا مع الهيكل فيقول:

لفظتـــه الحيـــاة لفـــظ نـــواة وتفـــض الأختـــام انثـــلام ؟!

وهذا البيت يشتمل على معان كثيرة،فإن من مـــات، أشـــبه بنـــواة الثمرة، بعد فقدها للحمتها، بانتهاء الأجل.. ثم يتساءل مستغربا هـل تفض الأختام أو أسرار الانزواء في ثنايا القبر، بعـد انثـلام بنيـه الإنسان وجدران المقبرة، في وقت واحد،أو انثلام حقيقة المـــوت، بفعل نابش القبر، بقسوة لا تليق بإنسانية الإنسان....

وبعد هذه المقدمة التي استهل بها الشاعر تجربته الشعورية بعد أن لمس هيكل الموت باليد واصبح حقيقة واقعة امامه، نجـــده يســـأل ابنته طالبة الطب، تساؤلات فيها من التأنيب ما فيها حينما يقول:

ليت شعري عظام من يا فتـــاتي تلك كانت، فـــي ســـالف الأيـــام

وأخذ يتخيل الاجابة على تساؤله: بأن هذه العظام،ربما كانت:

لعروس... تفيض بشرا وحسنا أم عجوز.. بقبضة الأسقام ؟

ثم يبلغ الاستفهام ذروة السخرية، حين يسترسل قائلا انه:

ربما كان جد جدك، أو كا ن كبيرا.. من علية الأقوام

قال شعرا،يكاد يقطر شهدا أو تغني بأروع الأنغام

ركب البحر والخيول ومتنا لبساطة الريح.. والأحلام

.. وبعد هذه الاستفسارات المتعددة التي تحمل في طياتها مأساوية الحياة، حينما تنتهي إلي الموت، يعود الشاعر فيغلب عليه التبكيت والتنكيت حين يقول:

ليس ما في القبور عنصر بحث وسواء: لسوقة أو عظام

كليه يستوي بلا تمييز عنصري: ما بين حام وسام

ويبدو أن هذه الواقعة تمت في زمن أحد الأعياد، بدليل قول الشاعر:

" كل عام وأنت في خير حال " قد محاها تقادم الأعوام

مر عيد عليه في إثر عيد دون ركز.. وتاه وسط الزحام

ولعله يعني بلفظ (الزحام) في البيت الثاني (زحام الأحداث) التي تملا الرحب من عهد عاد كما يقول المعري في داليته المشهور.

ثم يعود الشعر إلي غريزة حب الاستطلاع ، عن طبيعة الحيـــاة التي عاشها صاحب الهيكل ، حينما كان يعيش في دنيـــا النـــاس ، فيقول متسائلا:

أتـــرى كـــان صالحـــا وتقيـــا أم سيشقى... بيوم حشر الأنـــام

هل أتاه الممات فـــوق فـــراش أم تـــردى بســـاحة الإعـــدام !

ثم يعمد الشاعر إلي التقاط بعض الصور الفنية، فيصور ما يراه في منظر مخيف يتبدي في فراغ الفم والفكين بقوله:

ذلك الثقب، بـــانفراج مخيـــف كـــان ثغـــرا منضـــدا بابتســـام

يا لوجـــه كـــالبدر يمـــلأ أفقـــا لحبيـــب، مدلـــه مســـتهام

لو رآه الغـــداه، ولـــى فـــرارا واجف القلب، بعد عصف الحمـــام

أي لو أن هذا الحبيب، الذي كان في سالف العهد مفتنا بوجه حبيبه – رأي ما آل اليه وجه محبوبة، لولى فرارا، لبشاعة منظره.. وكما جاء بالتنزيل الحكيم عن اهل الكهف والرقيم بعـــد طـــول الرقـــود "لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و لملئ ت منـــهم رعبـــا " [١] وكما يقول المتنبي [٢].

---

(١) سورة الكهف الآية (١٨).

(٢) شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوقي دار الكتاب العربي لبنان – ١٩٨٠م جـ٢ صـ٣٢٥.

لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم يسبه

ويستمر الشاعر في موازنته بين الشيء ونقيضه،بقوله [٣]:

يا لزند... ساعد مرمري صار للدود مضغة في الرغام

رب جيد، مررت مر كرام ببقاياه... كان دنيا هيام

.. رب قد.. يميس دلا وعجبا بات مسري مواطئ الأقدام

ثم يعود الشاعر في ختام قصيدته إلي السخرية اللاذعة، من رؤية هذا الهيكل – المسجى – أمامه بقوله متسائلا، بمرارة في تساؤله بصورة متواكبة، منوعة حركية – تمثل الموت وما قبله وما بعده.. وبرع في خلق الجو النفسي للقصيده بتطويع القافية والبحر فانجلت واقعيتها، في تصوير، مؤلم، حي، خاصة حينما يقول:

ذاك بعث، قبل القيامة يبدو أم نشور... لكومة من عظام؟!

وينحي باللائمة على من استباحوا حرف الموت، بقوله:

ويح قوم، لأجل كسب زهيد نبشوا القبر، دون أدنى احتشام

غير هذا اهوان، هل من بديل أو سبيل، للبحث والإلمام ؟

وتمر الأعوام ويمر الشاعر أحمد مصطفى حافظ أيضا، بتجربة أخرى تعتريه في جسده وأعضائه حينما اغمي عليه اثناء سيره في

---

(٣) مجلة الشعر العدد ١٩٨٦/٤١م صـ/٨٧ وما بعدها.

الطريق العام، بسب مرضه بأزمة قلبية، وحين استفاق من غشيته، سارع إلي أوراقه ليصف ويسجل تجربته الحية، المؤلمة بقوله مستهلا بقصيدته (نفثة محتضر) [١]:

في لحظة فقدان الذات وبآخر فصل بحياتي
ودبيب الموتى أوصالي يتخطى شتى العقبات:
كحصاد هشيم أيامي وكقبض الريح خيالاتي

ثم يعمد إلي تغيير القافية، كل ثلاثة أبيات، ويستغرق في أبعاد تجربته الحية هذه فيقول – وهو في قمة أساه:

في لحظة فقدان الوزن وتلاشي النأمة والشأن
أتلفت.. لا ألقي أحد يصحبني إبان الدفن
وبقربي تعول نادبة تتحدث في وله عني

وفي البيت الثالث تستوقفنا كلمة (وله)، التي استعملها الشاعر في غير موقعها – في رأينا – فالوله من شدة العشق، وهي كلمة تقال في مقام الغزل ن ولو أن الشاعر استخدم بدلا منها لفظة (جزع) لكان ذلك اكثر دلالة على ما يريد التعبير عنه.. ثم تغلب على الشاعر روح السخرية التي قلما تفارقه، وهو في هذا الموقف

---

(١) ديوان (ما أبقت الأيام) ط المجلس الاعلى للثقافة ١٩٨١ صـ٢٩ وما بعدها.

الدرامي، الذي يعاني فيه ما يعاني، فيقول :

يا ويلي من ميـــن [١] صـــرف لشريكة عمـــري فـــي الوصـــف

فجميـــع خصـــــالي آيـــات تحصـــى و "تعـــدد" بـــــالألف !

ويضـــاعف هـــول الســـكرات عجزي أن اصـــرخ: لا.. كفـــى!

فالشاعر هنا في مشهد واقعي للغاية، في تصويره لمشهد كثيرا مـــا نراه، في مثل هذه المواقف المؤلمة، حينما تنتحب زوجة (الفقيـــد) ألما لفراق زوجها الأبدي، وتردد عبارات المبالغة في سرد حسـناته التي لا تشو بها شائبة سيئة ما..

ويزيد هذا الامر وضوحا، وسخرية، حينما يعود الشاعر، ليقول فـــي المقطع التالي:

انفـــرط العقـــد فـــلا تبكـــــي يـــا روح الـــروح ولا تشـــــكي

لا ليثـــا كنـــت ولا "جمـــــلا " فذرينـــا مـــن هـــذا إلا فـــــك !

انفقـــت حيـــاتي فـــي شـــظف وطريقـــي رصـــع بالشـــــوك !

وهذا يذكرنا بقول عنترة العبسي [١]:

فيارب لا تجعل حيـــاتي مذمـــة ولا موتتي بين النساء النوائـــح !

---

(١) المين: الكذب.

(١) ديوان عنترة بن شداد ط دار صادر بيروت ١٩٥٨م.

ويحدثنا شاعرنا في مقطع آخر عن تجربة الأديب في عالم الحياة والناس، وحظه القليل حين تدركه حرف الأدب فيقول:

وسمائي لم تمطر ذهبا وقفاري لم تثمر عنبا

ولبثت بقومي مجهولا لا أدرك شأوا أو أربا

وقنعت بلذة لذاتي أن اقرأ.. أو أبدع أدبا

ثم يتوجه الشاعر بنصيحة نادرة عجيبة شاذة في مضمونها، لأن البشر لا يقبلوها لزوجاتهم، من بعدهم، وقد يكون اسداؤه لها من باب السخرية واللامبالاة حينما يقول لشريكة حياته:

لا انصح أن تبقي بعدي بصقيع الوحدة والسهد

والبلوى يعقبها سلوى والقلب مصوغ من وجد

من يدري؟ غدا قد يخلفني من يرفل في حلل المجد!

حقا.. يالها من نصيحة لا تخطر على البال، فهو ينصحها – بعد انقشاع دفء عش الزوجية، ألا تبكي في قعر دارها حزنا وشجنا، بل يدعوها أن تدع صقيع هذا الانعزال،لأن أي مصيبة، مهما عظمت، يتناقض تأثيرها ووقعها رويدا رويدا، لأن القلب ما سمي قلبا، إلا لأنه يتقلب، كما انه، يهفو دائما إلي حب جديد، إذا اخاب امله في حب قديم، وضاع رجاؤه.. وأصبح ينزع إلي الاستمتاع في الحياة، بدنيا الملذات والمسرات، فهذا حقه.. ثم يكرر الإغراء

بالزواج بآخر، من بعده، فقد يكون هذا الفارس الوافد الجديد، خيرا منه، واكثر جاها وغنى وسؤددا..

ثم يتحدث في المقطع التالي من قصيدته، عما سوف يقال عنه، بعد رحيله، بأنه عانى كثير من ظروفه مع الدنيا والناس:

سيقول الناس لكم عانى كم كان وفيا.. كم كانا
كم نطح الصخر.. فما لانا كم نظم قريضا مجانا !

فهو يؤكد كدحه الذي لا يلاقيه، بعد أن بذل أقصى الجهد ليصل إلي حد (نطح الصخر) بلا جدوى ... ثم يفضى لنا بحقيقة يضمرها ولا يكاد يصرح بها ، إلا في هذه القصيدة، من انه كان ينظم الشعر ، دون أن يحصل على أي لقاء مادي ، بعد انشاده له في الندوات ، أو نشره بالصحف والمجلات.

وفي ختام القصيدة، يصور لنا حالة واقعية أليمة لا يصدر عنها إلا من مر بها وعاشها بحذافيرها في أخريات عمره، اثناء مرحلة الاحتضار بقوله بتماسك عجيب، أخير:

أهوى في بئر الغيبوبة وانا أتنفس بصعوبة
اصدر عن رمق لي باق وأنا أتلفت في ريبه
واليأس القاتل يصحنني تملى خلجاني أعجوبة

ثم يتمادى في تصوير حالته في اللحظات الاخيرة قبل أن يلفظ

آخر أنفاسه، بقوله:

الحركة تبطئ في بدني ويبددني وخز الزمن
وأروح رويدا في خدر ينفك يغالب كالوسن
لأغيب عن الدنيا.. عني لحياة الظلمة والكفن

وهكذا، نراه يستدل الستار على خاتمته، التي تصور خلجات في مثل هذا الموقف، مما لا يتاح لغيره.. اللهم إلا قول الزعيم الخالد (سعد زغلول) وهو في النزع الأخير لأصدقائه (أنا انتهيت لا فائدة).

ولم تكن تجربة الأزمة المرضية التي مر بها، هي المؤدية إلى النهاية المحتومة.. بل أتاح الله له أن يعيد التفكير العميق بعدها، فيما مر به، في هذه الأزمة. فيحدثنا في قصيدة (خاتمة المطاف) بعد استقرار حالته عن فلسفة الموت وحتميته، وما وراءه من أسرر، وما يعقبه من تحولات.

والأمر الغريب الذي لاحظناه، أن هذا الشاعر يكثر من ذكر هازم اللذات ومفرق الجماعات (الموت).. وهذا حسن مقبول إذا كان للتذكر والاعتبار، والاقبال على عمل الخير، اما إذا كان يصدر عن نزعة تشاؤمية بحته، فهذا غير مقبول منه، اذ ينظر إلى الحياة بمظار اسود.. ولعل خير دليل على ما نذهب اليه، من ايثاره هذا اللون القاتم من الشعر، هو اقدامه على الاكثار منه، وخاصة في ترجمته لقصيدة الشاعرة الانجليزية كريستينا روزيتي (١٨٣٠-

١٨٩٤) التي تحمل عنوان (وصية من وراء القبر) ونصها بعد ترجمته لها إلي العربية – شعرا [١]:

إن اتاني الردي.. وصرت دفينة ... فدع الندب.. والأغاني الحزينة

قرب رأسي لا تغرس الزهر، حسبي ... سندس الأعشاب، يزجي فتونه

جاده الغيث والندى.. بلخضلال ... فوق رمسي، فصرت أنشد لينه

وظلال الصبار، لست أبالي ... أن تواري.. بقية المستكينة

وسواء تذكر أوسلو ... وابتعاد... ينسى الشجى شجونه

فأنا لست ادرك الظل أو الغيـ ... ـث، وقد أطبق الفؤاد جفونه

كرواني الذي شجاني مليا ... في حياتي، ما عدت أدري لحونه

ذلك الفجر، في ثرى أحلامي ... صار لا يعرف الشعاع عيونه

ذكرياتي قد تستبيني اتفاقا ... في انفرادي.. بعزلة وسكينة

ربما بددت صداها الليالي ... والمنايا.. تنسى الفؤاد حنينه

فهذه القصيدة من الألف إلي الياء، تثير الشجن، بعد أن غاضبت الشاعرة من بعدها، أن لا يكلف خاطره بالإفراط في الحزن من اجلها، لأن هذا هو مصير الأحياء جميعا. ولذلك فالشاعر أحمد مصطفى حافظ، يحدثنا في قصيدة أخرى تحمل عنوان (خاتمة

---

(١) مجلة الأزهر ١٩٧٢م.

المطاف) [٢] ينزع فيه إلي التفلسف وإزجاء الحكمة البشرية كلها، بالنسبة للنهاية المحتومة، ويستهل قصيدته بأسلوب الاستفهام، فيقول:

ننتهي ؟ لا باس ! نمضى للثرى لنرى.. ماذا وراء الحفر

أي أنه يرحب بالموت، في نظير استكشاف مرحلة ما بعد الموت التي لم ينفذ اليها قط، أحد، على سبيل القطع والتثبيت ليحدثنا عنها إذا عاد الينا إذ أننا نمضي، حتم، أنوفنا، صاغرين:

لنرى ما ظل سرا غامضا في ثنايا الغيب.. صلد الجدر

ثم يضيء أي ايمانه ويقينه، بوجد حياة أخرى بعد الموت، فيقول:

ونرى أرواح قوم قبلنا فارقونا، بعد عصف القدر

ولن يتم ذلك، إلا حينما:

نخلع الجسم، لنبقى مثلهم دون "طين" حاجب للبصر

أي بعد أن يعود تراب الجسد إلي تراب الأرض وهو العنصر الأول لخلقنا، الذي ترشدنا اليه الآية الكريمة في قوله تعالى " منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة أخرى " [١].

ولكن ماذا سيكون عليه شأننا إزاء الموت الذي يخيفنا مجرد التفكير فيه:

---

(١) ديوان ما أبقت الأيام صـ٣٥.

(٢) سورة طه الآية (٥٥).

دون ري أو طعـــام ســـائغ دون أنفـــاس.. بدنيـــا البشـــر

وبعد أن نصبح – أجسادنا – جثثا هامدة منعزلة في قبورها عن كل وسائل الحياة، من شراب أو طعام، أو حتى مجرد انفاس تتردد فـــي صدورنا. وكيف لا ونحن، ونحن أصبحنا:

لا نرى الشمس ولا البـدر، ولا لوعة الأحبـــاب.. بعـد الســفر

أي بعد (السفر) إلي أول مراحل الآخرة، حيث نمضي فـــي رحلـــة السبات العميق بلا أحلام، والتحلل إلي عناصرنا الأولى، التي تتكون منها أجسادنا ونحن:

في منـــاحى (بلـــدة مجهولـــة) ليـــس فيـــها للمنـــى مـــن أثـــر

وهو يعني بالبلدة المجهولة: مدينة الموتى، التي ليس فيـــها آمـــال للإنسان، سوى أن يلقى رحمة الرحمن ورضوانه.. أما ذوينا الذيـــن تركناهم في الدنيا، بعد رحيلنا، فيقول عنهم:

والثكـــالى واليتـــامى.. حـــوم فـــي حنيـــن ذائـــب.. منحســـر

هؤلاء الزوجات اللاتي ترملن، والأبناء والبنات، والأزواج ايضا في حالة فقد الزوجات، فهم جميعا يحومون حول (المقبرة) في بعـــض الأحيان، يحدوهم إلي ذلك، حنين..لن يدوم.. لأنه ينحســـر قريبـــا، شيئا فشيئا بتقادم الزمن، وكما يقول أحمد شوقي في شطر ســـينينه المشهورة التي يعارض بها البحترى: واختلاف النهار والليل ينسى.

دون ري أو طعـــام ســـائغ دون أنفـاس.. بدنيـا البشـــر

وبعد أن نصبح – أجسادنا – جثثا هامدة منعزلة في قبورها عن كل وسائل الحياة، من شراب أو طعام، أو حتى مجرد انفاس تتردد فـي صدورنا. وكيف لا ونحن، ونحن أصبحنا:

لا نرى الشمس ولا البـدر، ولا لوعة الأحبـــاب.. بعـد الســفر

أي بعد (السفر) إلي أول مراحل الآخرة، حيث نمضي فـــي رحلـة السبات العميق بلا أحلام، والتحلل إلي عناصرنا الأولى، التي تتكون منها أجسادنا ونحن:

في منـاحى (بلـدة مجهولـة) ليـس فيـها للمنـى مـن أثـر

وهو يعني بالبلدة المجهولة: مدينة الموتى، التي ليس فيـها آمـال للإنسان، سوى أن يلقى رحمة الرحمن ورضوانه.. أما ذوينا الذين تركناهم في الدنيا، بعد رحيلنا، فيقول عنهم:

والثكـالى واليتـامى.. حـوم فـي حنيـن ذائـب.. منحصـر

هؤلاء الزوجات اللاتي ترملن، والأبناء والبنات، والأزواج ايضا في حالة فقد الزوجات، فهم جميعا يحومون حول (المقبرة) في بعض الأحيان، يحدوهم إلي ذلك، حنين..لن يدوم.. لأنه ينحصر قريبا شيئا فشيئا بتقادم الزمن، وكما يقول أحمد شوقي في شطر بيته المشهورة التي يعارض بها البحتري: واختلاف النهار والليل ينسي

ثم يطلق الشاعر آهته من الأعماق، لأن الراحة التي ينشدها لـــن يجدها في الحياة الدنيا، لانها لا تتحقق الا بفقد العمر.

وبعد أن وقفنا طويلا أما نظرة الشاعر أحمد حافظ إلي الموت نـــراه يقول محدقا في الموت:

الموت فجر، بعدليـــل شـــقاوة للمدلجيـــن بمهمـــة الحرمـــان

كـــل له حتف يلاقيـــه.. فـــلا يسطيع يرفـــع رايـــة العصيـــان!

ما عاد من يروي لنا أخبـــاره أخبـــاره.. بقـــرارة الأكفـــان

يأتي – متى يأتي – بدون تـردد وبغـير توفـــير أو اســـتئذان

بينا نروح ونغتدي فـــي غفلـــة نغدو بـــه – كـــالحلم للوســـنان

اوراق اغصان الخريف تنـاثرت والريح تزار في مـــدة الأزمـــان

لو عاش كل الناس منـــذ " آدم " ضـــاق الوجـــود بـــهم.. بكـــل مكـــان

وبعد هذا التطواف في الادب الشجي، قديمـــة وحديثـــه، أي منـــذ صدحت قوافيه الأولى في البوادي العربية، في التاريخ الموغل فـــي القدم، حينما اصطدم الإنسان الشاعر بظاهرة الوجود الـــذي يليـــه العدم.. عمد إلي التنفيس عن نفسه بشتى الوسائل، ولابد للمصدور من نفثة، تمتزج فيها البسمات بالعبرات حتى قال القائل:

يا عين قد صار البكالك عـــادي تبكين من فـــرح ومـــن أحـــزان

وقال لآخر في قريب من هذا المعنى:

هجم السرور على حتـــى انـــه من فرط ما قد سرني.. أبكـــاني

فالإنسان بطبيعته يخشى الموت ويحذره، ويتمنـــى أن يحيـا – إذا استطاع– عمر نوح عليه السلام،إلي مالا نهاية..إلا أن الأجل يمحق الأمل،والحزن أعمق في وجدان البشر من الفرح،حتى قيل بحق.

إن حزنا في ساعة الموت أضعا ف سرور.. في ســاعة الميـلاد

وفن الرثاء في الأدب العربي يحفل بالقصائد التي تنبض بـــالصدق والحرارة وعمق التأثير والتأمل لأنها تنبع من الأعمـــاق، وتحـت وطأة انفعال جياش، ينضجة سعير الألم والأشجان، وذلك لأن حلـول الموت ينقض الشمل، وينغص المسرات، ويذهب بالأليف، فلا يبقـى خليل مع خليل إلا لأجل مسمى، ولا يـهنأوا إلا والفرقـة والـوداع يقفان لهما بالمرصاد، مخلفين أجمل الذكريات التي تنشح بالوفـاء والحنين، إلي ما قد كان وقوله تعالى " كل من عليها فان. ويبقـى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " تخسم وتضـع حـدا لاسـتمرارية الحياة، وعزاء للإنسان، إذ لا يدوم الإنسان على حال واحـد، وان النفثات تبدع أروع آيات البلاغة في رثاء النفس.

وأيضا نلاحظ من خلال بحثنا أن الرثاء فن معدود من اقـدم فنـون الأدب العربي والعالمي لارتباطه بنشأة الإنسان وحياته فـهو وجـد منذ عرف الموت للإنسان ونزوله على بني البشر فبعث في نفـس الأديب والشاعر ثورة عارمة، ودفعها إلي تدقيق النظر في الحيـاة من حوله، فيستخرج خير ما في النفس من صفات الإيمان العميـق بالله وإنها ارادته أولا وآخرا ويصدر ذلك كله عنه شعرا.

الشعراء الذين ورد ذكرهم في البحث

شعراء الجاهلية:

جليلة بنت مرة

عدى بن زيد

عنترة بن شداد

الخساء.

شعراء ما بعد ظهور الإسلام:

الممزق العبدي

مالك بن الريب

قطري بن الفجاءة

أبو الطيب المتنبي

أبو فراس الحمداني

أبو العلاء المعري

تميم بن جميل السدوسي

أبو حامد الغزالي

شعراء العصر الحديث:

إسماعيل صبري (١٨٥٤-١٩٢٣)م

فخري أبو السعود

أحمد شوقي (١٨٦٩-١٩٣٢)م

محمد فضل اسماعيل (١٨٩٨-١٩٦٩)م

د/ حسن جاد حسن

ابراهيم طوفان (١٩٠٥-١٩٤١)م

فدوى طوفان (١٩٢٠-....)م

عبد الرحمن صدقي (١٨٩٧-...)م

أحمد مصطفى حافظ (١٩٣٠-....)م

محمد عبد الرحمن صان الدين (١٩٢٣-٢٠٠١)م

د/ عزت شندي موسى

أبو القاسم الشابي ١٩٠٩-١٩٣٤)م

عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤)م

عبد الرحمن شكري (١٨٨٦-١٩٥٨)م

إبراهيم عبد القادر المازني (١٨٨٩-١٩٤٩)م

جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦)م

فوزي المعلوف (١٨٩٩-١٩٣٠)م

شفيق المعلوف (١٩٠٥-....)م

جليلة رضا (١٩٢٠-....)م

فهرس المصادر والمراجع التي وردت بالبحث

١- أدب الدنيا والدين لأبي الحسن على بن محمد الماوردي حقق/ محمد فتحي أبو بكر - الطبعة الأولى - دار الريان ١٩٨٨م.

٢- الأغاني لأبو الفرج الأصفهاني- دار الكتب المصرية- بدون تاريخ.

٣- الأمالي لأبو على القالي. تحقيق محمد محمد الجواد الاصمعى - مطبعة السعادة سنة ١٩٥٣.

٤- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المبهلي . تعليق د/ طه عبد الرؤف سعد - طبع دار الفكر العربي ١٩٨٣م.

٥- الرثاء مجموعة فنون الأدب العربي د/ شوقي ضيف الطبعة الرابعة دار المعارف ١٩٧٩.

٦- الزهاوي شاعر الحرية تأليف انور الجندي سلسلة كتب ثقافية ١٩٦٠م.

٧- الشابي شاعر الخضراء للأستاذ حمد محمد عبد الوهاب ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٧م.

٨- الشعر في عصر المأمون د/علي محمد طب مطبعة الأمانة القاهرة ١٩٨٥.

٩- العصر الجاهلي د/ يوسف خليف طبعة دار المعارف.

١٠- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلس بتحقيق محمد سعيد العريان ط دار الفكر.

١١- العمدة لابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محي الدين ط دار الجيل الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.

١٢- المنتخب من أدب العرب جمع وشرح د /طه حسين واحمد الاسكندري واحمد أمين وعلى الجارم وعبد العزيز البشري واحمد ضيف المطبعة الأميرية بولاق ١٩٣٥.

١٣- المفضليات تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون الطبعة السادسة دار المعارف ١٩٧٩.

١٤- المرتبة الجاهلية د/ عائشة عبد الرحمن مطابع جامعة - عين شمس ١٩٦٢.

١٥- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق محمود محمد شاكر ط عيسى الحلبي.

١٦- النقد الادبي د / أحمد أمين - الطبعة الخامسة - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٣.

١٧- دراسات في تاريخ الادب العربي في أزهى عصوره د / محمد عبد المنعم خفاجي و د/ عبد الرحمن عثمان.

١٨- ديوان ابي العلاء المعري سقط الزند - تصحيح ابراهيم الزين ط دار الفكر بيروت. ١٩٦٥م.

١٩- ديوان الشاعر حسن جاد حسن - مخطوط.

٢٠- ديوان من وحي المرأة للشاعر عبد الرحمن صدقي.

٢١- ديوان اسماعيل صبري تحقيق محمد القصاصي - د/ أحمد كمال زكي ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٢٢- ديوان اغاصير وانسام للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين ط الأولى- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

٢٣- ديوان مواك الحياة د/ عزت شدي موسى جـ١ المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٧٥م.

٢٤- ديوان الشابي اغني الحياة ط دار الكتب ١٩٥٥م.

٢٥- ديوان عابر سبيل للعقاد ط القاهرة ١٩٥٠م.

٢٦- ديوان الشوقيات لأحمد شوقي دار العودة، بيروت ١٩٨٨م.

٢٧- ديوان عبد اللطيف النشار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٨- ديوان محمد فضل اسماعيل ط المجلس الأعلى للفنون والأدب ١٩٧٢م.

٢٩- ديوان ما أبقت الايام ط المجلس الاعلى للثقافة الطبعة الأولى. ١٩٨١ شعر احمد مصطفى حجافظ.

٣٠- ديوان انداء وظلال لأحمد مصطفى حافظ ط الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٨٧م.

٣١- ديوان عنترة بن شداد ط دار صادر بيرو ١٩٥٨م.

٣٢- ديوان الخنساء شرح عبد السلام الحوفي ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥م.

٣٣- ديوان اللحن الثائر للشاعر جليلة رضا ط الثنية دار الطباعة والنشر ١٩٥٧م.

٣٤- رثاء النفس في الشعر العربي د/ عبد الله أحمد باقـــازي ط المكتبة الفيصلية – السعودية ١٩٨٥م.

٣٥- شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمـــن الـــبرقوقي – دار الكتاب العربي لبنان ١٩٨٠م.

٣٦- شرح ديون كعب بن زهير للسكري ط دار الكتب القاهرة سنة ١٩٥٠.

٣٧- شاعر يرثي نفسه: دراسة لياتية مالك بن الريب د/ محمـــد عبـــد المنعم عبد الكريم العربي – الطبعـــة الاولـــى مطبعـــة الامانـــة ١٩٨٧م.

٣٨- ذكرى اشاعرين حافظ وشوقي لأحمد عبيد ط عالم الكتب سنة ١٩٨٥.

٣٩- شرح ديوانابي فراس الحمداني دار مكتبة الحياة بيروت.

٤٠- شعراء ودواوين للأستاذ أحمد مصطفـــى حـــافظ ط الهيئـــة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٤١- صحيح مسلم.

٤٢- على فراش الموت – طاهر الطناحي – دار الهلال ١٩٣٩م.

٤٣- عبد الرحمن شكري نظرات في شعره للدكتور انسي داود ط المكتبة الثقافية ١٩٧٠م.

٤٤- فيموكب الخالدين - عبد السميع المصري دار الكتاب العربي ١٩٦٠م.

٤٥- لسان العرب لابن منظور طبعة دار صادر بيروت.

٤٦- جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام لابوزيد محمد بن أبي الخطاب القرشي - تحقيق محمد البباوي ط دار نهضة مصر ١٩٨١م.

٤٧- مذاهب فلاسفة المشرق د/ عاطف العراقي ط دار المعارف.

٤٨- مقالات الاسلاميين للأشعري.

٤٩- مروج الذهب تحقيق محمد محي الدين ط دار الفكر.

٥٠- مجلة الشعر العدد الثالث ١٩٦٣م.

٥١- موسوعة الشعر الجاهلي شرح مطاوع صفدي وايليا حاوي ط بيروت ١٩٧٤م.

٥٢- من وحي القلم تأليف مصطفى صادق الرافعي ط دار المعارف ط الثانية ١٩٨٦م.

٥٣- مجلة الشعر العدد ٤١ سنة ١٩٨٦م.

٥٤- مجلة الأزهر عدد ديسمبر ١٩٧٢م.

٥٥- مجلة الدوحة العدد ٩٤ - أكتوبر ١٩٨٣م.

٥٦- وقفة مع الشعر والشعراء.تأليف جليلـــة رضـــا ط الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٨٧م.

٥٧- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني تحقيق د/إحسان عباس ط الأولى دار العرب الإسلامي صادر بيروت سنة ٢٠٠٠.